حملات ممنهجة ضد الإسلام .. ومن يزرع الكراهية يحصد العنف

التوحيد

صلاة الاستسقاء

العالم الإسلامي

الأشواك الجارحة في حقلنا الإسلامي المعاصر

- شيخ الأزهر: محبة النبي فرض عين على كل مسلم
- مهما كنت لاعباً فلا تلعب بدينك
- فضل السباقين للخيرات

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٢ السنة الخمسون - ربيع آخر ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

800 جنيهاً

ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن.

السلام عليكم

النصر بالصرف

والمقصود بالصرف: صرف الله سبحانه للمشركين عن النيل من شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد كان المشركون يعكسون اسم النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: مذمم بدلاً من محمد، فكلما رأوه قالوا: جاء مذمم، ورجع مذمم، والنبي صلى الله عليه وسلم يهوّن على نفسه وأصحابه هذا السلوك الذميم، فيقول لأصحابه: «أرأيتم كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ إنهم يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد».

وهؤلاء الذين يرسمون للنبي صلى الله عليه وسلم الرسوم التي تسيء له، فإنهم يرسمون صورًا لا تمت لشخصه ولا لصورته وحقيقته بصلة، فهم يتعبون أنفسهم في غير رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهذا السلوك كمقصود عندهم يزعجنا ويضيق صدورنا كمسلمين، كما كان يضيق صدره صلى الله عليه وسلم قديمًا، فقال له ربه جل وعلا: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ» (الحجر: ٩٧)، وتولى سبحانه الدفاع عنه كما قال: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» (الحجر: ٩٥)، وتوعد بالعذاب الأليم المهين في الدنيا والآخرة لمن آذى الله ورسوله بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» (الأحزاب: ٥٧).

فالويل كل الويل لمن يفعلون ذلك.

التحرير

بريد القراء

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر. والله الموفق.

٧

مصنفات فقهاء المسلمين الأوائل في المالية العامة

١١

حملات ممنهجة ضد الإسلام.. ومن يزرع الكراهية يحصد العنف

٤١

٤٤

انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه ٢
باب التفسير ٥
أخلاقنا من الكتاب والسنة ١٥
باب السنة ١٧
فقه المرأة المسلمة ٢١
معركة صفين (٣) ٢٥
الاعتناء بالأبناء من هدي الأبناء ٢٩
القرآن تدبر ومنهج ٣٣
واحة التوحيد ٣٦
دراسات شرعية ٣٨
أخبار العالم الإسلامي ٤٨
محرمات استهان بها العروسان ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل ٥٧
نظرات في حكم طلاق الغضبان ٦١
صلاة الاستسقاء ٦٥
مقالات في معاني القراءات ٦٨
فضل السباقين للخيرات ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

مدير التحرير

إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

افتتاحية العدد

انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه

(٢)

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فقد بينت في اللقاء الماضي أن السبب الأول في انصراف بعض الناس عن التوحيد هو الغلو، وذكرت بعض الآيات المحذرة من الغلوَ، وكذلك بعض الأحاديث النبوية، وأتابع في هذا اللقاء الحديث حول هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

إن أئمة الإسلام قرَروا خطورة الغلو في الصالحين، حتى لا تقع هذه الأمة فيما وقعت فيه الأمم السابقة، فهذا الإمام البخاري رحمه الله يقول في كتابه الصحيح: «باب هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية، ويُتخذ مكانها مسجدًا؟ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وما يُكره من الصلاة في القبور، ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبرَ القبرَ، ولم يأمره بالإعادة، فقال ابن حجر رحمه الله في شرحه قوله: «وما يُكره من الصلاة في القبور يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر، أو بين القبرين» (فتح الباري، ج١، ص ٥٢٣، ٥٢٤).

كما عقد بابًا عنوانه بقوله: «باب كراهية الصلاة في المقابر»، ص ثم ساق بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا» (فتح الباري، ج١، ص ٥٢٨)، وقال ابن رجب رحمه الله في قول البخاري السابق: «لا تنبش قبور مشركي الجاهلية؟»: مقصود البخاري بهذا الباب: كراهة الصلاة بين القبور وإليها، واستدل لذلك بأن اتخاذ القبور مساجد ليس

هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. (فتح الباري لابن رجب، ج٢، ص ٣٩٧).

كما قرر ذلك الإمام ابن خزيمة رحمه الله؛ حيث عقد بابًا في صحيحه قال فيه: «باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد، والدليل على أن فاعل ذلك من شرار الناس» (صحيح بن خزيمة، ج١، ص٤٠٦).

وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». (مسلم/٥٣٢).

قال النووي رحمه الله في شرحه: «إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى الوقوع في المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرّفوهما، حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر». (شرح النووي على مسلم، ج٥، ص ١٣).

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم، ثم خافوا أن يُتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبارة؛ فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره صلى الله عليه وسلم، ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرزَ قبرُه صلى الله عليه وسلم». (المفهم شرح صحيح مسلم، ج٢، ص ١٢٩).

وقال القاضي عياض رحمه الله: «لما احتاج المسلمون إلى الزيادة في مسجده صلى الله عليه وسلم؛ لتكاثرهم بالمدينة، وامتدت الزيادة إلى أن أُدخل فيه بيوت أزواجه، ومنها بيت عائشة الذي دُفن فيه صلى الله عليه وسلم بُني على قبره حيطان أحدقت به، لئلا يظهر في المسجد فيقع الناس فيما نهاهم من اتخاذ قبره مسجدًا، ثم إن أئمة المسلمين حذروا أن يُتخذ موضع قبره قِبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه، ويحذر أن يقع في نفوس الجهلة من ذلك شيء، فرأوا بناء جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكن لأحد استقبال موضع القبر عند صلاته» (إكمال المعلم، ج٢، ص ٤٥١).

ومن المعلوم يقينًا أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يدفنوا النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وإنما دُفن حيث قبض في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والأنبياء يُدفنون حيث يُقبضون، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه»، فدفنوه في موضع فراشه صلى الله عليه وسلم. (الحديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي، ج١، ص ٢٩٨).

ويظهر من هذا الحديث أن

هذه خصيصة للأنبياء والمرسلين، وهي أنهم يُدفنون حيث يُقبضون، والصحابة رضوان الله عليهم استجابوا لذلك ونفذوا أمره فيه فقط، ولذلك لم يكونوا يدفنون موتاهم في البيوت، وإنما كانوا يُدفنون في البقيع، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن أحدًا في بيته، وهذا فيه دليل على أن الدفن في البيوت لا يجوز.

وعليه أقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يستدل على بناء المساجد على القبور بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُدفن في المسجد، وإنما دُفن في بيته الذي قبض فيه، كما ذكرت سابقًا، ولما احتاج الناس إلى توسعة المسجد دخلت الحجرة فيه، وكان هذا في أواخر المائة الأولى من السنة الهجرية، وكان عامة الصحابة أفضوا إلى ربهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: «المسجد لما زاد فيه الوليد، وأُدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة، ولم يبقَ إلا من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغ سنّ التمييز الذي يُؤمر فيه بالطهارة والصلاة» (انظر الرد على الإخنائي، ص٣٣١).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله بالتفصيل قصة دخول حُجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «في حوادث سنة ثمان وثمانين: وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي، واضافة حُجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يوسّعه من قبلته سائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فشقّ عليهم ذلك، ويُحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، كأنه خشي أن يُتخذ القبر مسجدًا، والله أعلم» (البداية والنهاية، ج٩، ص ٧٩، ٨٠).

وقد تناول الشيخ ابن عثيمين الرد على المستدلين بما وقع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواز بناء المساجد على القبور، فقال: إذا قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم الآن، فإنه في وسط المسجد، فما هو الجواب؟ قلنا: الجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يُبنَ على القبر، بل بُنيَ المسجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دُفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها بيت عائشة رضي الله عنها مع المسجد ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، فليس مما أجاز الصحابة أو أجمعوا عليه مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب من التابعين، فلم يرضَ بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنيًا عليه. (القول المفيد على كتاب التوحيد، ج١، ص ٣٩٨، ٣٩٩).

وأضيف إلى ذلك فأقول: «إن فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثابت في السنة الصحيحة والصلاة فيه بألف صلاة، وسواء في ذلك ما كان قبل دخول القبر أو بعد دخوله، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بنى مسجده وهو حيّ، وبُنيت بيوت أزواجه بجواره، ودُفن في بيت عائشة وهو خارج المسجد، فلا يجوز لأحد أن يستدل ببناء المساجد على القبور بهذا العمل ويترك النصوص الصريحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن بناء المساجد القبور».

وقد سبق ذكر بعضها،

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ الحُجُرَات

(٨)

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ» (الحجرات: ١٢).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ما يزال الحديث متصلاً عن تفسير آيات سورة الحجرات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ» (الحجرات: ١٢).

نَهَت الآيةُ الكريمةُ أولاً عن الظَّنِّ؛ لأَنَّ الظَّنَّ السَّيِّئَ هُو سَبَبُ الأمراضِ الثلاثةِ التي نهت عنها الآية السابقة، وهو أيضا سببٌ للمرضين المذكورين بعدَه، فهُو الذي يَحمل على احتقار الناس، والسُّخرية منهم، واغتيابهم.

وأُعيد النداءُ خامسَ مرَّة لاختلاف الغرض والاهتمام به، وذلك أنَّ المنهيَّات المذكورة بعد هذا النداء، من جنس المعاملات السيئة الخفيَّة، التي لا يتفطَّن لها من عُومل بها فلا يدفعها، فما يزيلها من نفس من عامله بها إلا الإيمان.

والمرادُ بـ «الظَّنِّ» هنا: الظَّنُّ المتعلِّق بأحوال النَّاس، وحُذف المتعلِّق لتذهب نفسُ السامع إلى كل ظَنٍّ مُمكن هو إثم. وجُملة «إنَّ بعض الظنِّ إثم» استئناف بيانيّ؛ لأنَّ قوله: «اجتنبُوا كثيرا من الظَّنِّ» يَستوقف السامعَ ليتطلَّب البيان، فأعلموا أنَّ بعض الظَّنِّ جُرم، وهذا كناية عن وُجوب التأمُّل في آثار الظُّنون، ليَعْرِضُوا ما تُفضي إليه الظُّنون على ما يَعْلَمُونه من أَحْكام الشَّريعة، أو ليسألوا أهل العلم.

وفي قوله تعالى: «اجتنبُوا كثيرًا من الظَّنِّ» تأديبٌ عظيمٌ يُبطل ما كان فاشيًا في الجاهليَّة من الظُّنون السَّيِّئة، والتُّهم الباطلة، وأنَّ الظُّنون السَّيِّئة تنشأ عنها الغَيْرة المُفرطة، والمكائد، والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذرًا من اعتداء مَظْنُون ظَنًّا باطلاً، كما قالوا: خُذ اللصَّ قبل أن يأخذك.

قال أبو حامد الغزاليُّ -رحمه الله-: "اعلَمْ أنَّ سُوء الظَّنِّ حرامٌ مثل سُوء القول، فكما يَحْرُمُ عليك أن تُحدِّث غيرَك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تُحدِّث نفسَك وتُسيء الظَّنَّ بأخيك، ولستُ أعني به إلا عقد القلب وحُكمه على غيره بالسُّوء. فأمَّا الخواطرُ وحديثُ النَّفس فهو معفوٌّ عنه، بل الشَّك أيضا معفُوٌّ عنه، ولكنَّ المَنْهيَّ عنه أن يظُنَّ، والظَّنُّ عبارةٌ عمَّا تركنُ إليه النفسُ، ويميل إليه القلب. وسَببُ تحريمه أنَّ أسرارَ القُلوب لا يَعلمُها إلا علَّامُ

الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك، ولم تسمعه بأذنك، ثم وقع في قلبك، فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (الحجرات: ٦).

فلا يجوز تصديق إبليس.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج، والنفس تحدث؟ فنقول: أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان، فينفر عنه نفورا ما، ويستثقله، ويفتر عن مراعاته، وتفقده وإكرامه، والاغتنام بسببه؛ فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه".

ولما نهى الله تعالى عن الظن أتبعه بالنهي عن التجسس، والتجسس هو محاولة هتك ستر الآخرين، والبحث عن عوراتهم، لأنه لما ظن أراد أن يتثبت، ولا يمكنه أن يتثبت إلا بالتجسس. عن قتادة قال: هل تدرون ما التجسس؟ هو أن تتبع، أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سره. وعن مجاهد قال: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله (جامع البيان: ١٣٥/٢٦). فلا يجوز لمسلم أن يتتبع عورات أخيه، ولا يجوز لمسلم أن يبحث عن عيوب أخيه، فإن رسول الله بين أن (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة) (م٢٦٩٩).

وبالعكس: من فضح مسلما فضحه الله في الدنيا والآخرة؛ قال رسول الله : (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته) (صحيح أبو داود:٤٠٨٣).

أما النهي الثالث في الآية فهو: الغيبة: هي ذكر الغائب بما يكره؛ عن أبي هريرة أن رسول الله قال: (أتدرون ما الغيبة). قالوا الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره). قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته) (مسلم ٢٥٨٩).

ولقد قبح الله الغيبة، وصورها بأبشع الصور، تنفيرا للمؤمنين عنها، أيحب أحدكم أن يجلس على جيفة مؤمن يقطع منها ويأكل؟ فكرهتم الأكل من الجيفة، لأن طباعكم تنفر منها، فإذا كرهتم ذلك طبعا فاكرهوا الوقوع في أعراض الناس شرعا، فإن الله ينهاكم عن الوقوع في أعراض المؤمنين.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله : (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) (صحيح أبو داود:٤٠٨٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله ، فقام رجل فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي : (تخلل). فقال: ومما أتخلل وما أكلت لحما؟ قال: (إنك أكلت لحم أخيك) (صحيح الترغيب : ٢٨٣٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي : حسبك من صفية كذا وكذا، تعني قصيرة. فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته). (صحيح أبو داود: ٤٠٨٠) .

فاتق الله يا عبد الله في إخوانك المؤمنين ولا تتبع عوراتهم، ولا تذكر سوءاتهم، واعلم أن كل إنسان مؤاخذ بكل كلمة يقولها، إن معاذ بن جبل طلب من رسول الله الوصية، فكانت وصية رسول الله له: (كف عليك هذا). فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟) (صحيح الترمذي :٢٦١٦).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

مصنفات فقهاء المسلمين الأوائل في المالية العامة

إعداد **د . أيمن خليل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نتناول في هذا العدد إن شاء الله أبرز مصنفات فقهاء المسلمين الأوائل في المالية العامة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

لما كانت نصوص الشريعة محدودة والنوازل غير متناهية؛ فقد قام الفقهاء بدور جوهري في استنباط الأحكام الفقهية لهذه النوازل، ومن يتأمل جهود فقهاء المسلمين على مدار القرون الماضية يجد تراثًا عظيمًا وثروة ضخمة، وجهدًا مشكورًا لهم، كما يتبين للناظر مدى حضورهم عند كل نازلة، وتناولهم لحكمها، وهو ما أظهر مرونة الشريعة وصلاحيتها في كل زمان مع ثباتها وعدم تغيّر أصولها، وهو ما أعطى تجددًا للفقه الإسلامي، وفي مجال المعاملات اجتهد الفقهاء في التوفيق بين تحقيق مصالح جموع الناس مع الانضباط بأصول الشرع؛ لأنه لا ينبغي أن يَشُقَّ الفقهاء على الناس باسم الدين، كما لا ينبغي الانخلاع من أحكام الشريعة ومخالفة أوامر الله عز وجل باسم التيسير على الناس، وخاصة في ظل محاولات ظاهرة تسعى حثيثًا لتطويع الشريعة الإسلامية لأنظمة تتناقض معها بصورة جذرية.

وقد صنَّف بعض الفقهاء لمسائل مالية واقتصادية تبيِّن جهود الفقهاء في مواكبة الفقه الإسلامي للتطوّر ووفائه بحاجات الناس في مختلف الدهور والعصور، وصنَّف فقهاء المسلمين مصنفات متخصِّصة تختص بمسائل محددة، ومن ذلك: مصنفاتهم في الخراج باعتباره من أهم مصادر بيت المال، والخراج هو الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي التي تُزرع حبوبًا ونخيلاً وفاكهة.

وكان عمر -رضي الله عنه- قد أمر بمسح السواد (أرض العراق)، ودفعه إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلّة كل سنة، ولذلك سُمِّيَ خراجًا؛ لأنه خارج من الأرض، ونعرض لأشهر المصنفات في الخراج، وهي أربعة كتب: كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة

لقدامة بن جعفر، وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي، وذلك فيما يلي:

أولا: كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي:

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، تتلمذ لأبي حنيفة وهو أشهر أصحابه، وقد ولي أبو يوسف القضاء ببغداد في أزهى عصورها أيام المهدي والهادي وهارون الرشيد، هو أول من دُعي "قاضي القضاة"، ومات في خلافة هارون الرشيد ببغداد سنة ١٨٢هـ. وصنّف أبو يوسف كتابه بطلب هارون الرشيد الذي سأله في بعض المسائل فصنّف له كتاب الخراج، وهو أشبه ما يكون بكتب المالية العامة الآن، وكان الخراج من أهمّ مصادر بيت المال آنذاك.

ونظم أبو يوسف في كتابه كيفية جباية الخراج وأوجه إنفاقه، ويبين أبو يوسف سبب تأليف هذا الكتاب فيقول: "... قد كتبت لك ما أمرت به وشرحته لك وبينته، فتفقهه وتدبّره وردّد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك، ولم آلك والمسلمين نصحًا؛ ابتغاء وَجْه الله وثوابه وخَوْف عقابه. وإني لأرجو - إن عملت بما فيه من البيان- أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم.. فوفقك الله لما يرضيه عنك وأصلح بك وعلى يديك" (انظر: الخراج:أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (بدون تاريخ)، ص ١٦).

> لا ينبغي الانخلاع من أحكام الشريعة ومخالفة أوامر الله عز وجل باسم التيسير على الناس، وخاصة في ظل محاولات ظاهرة تسعى حثيثًا لتطويع الشريعة الإسلامية لأنظمة تتناقض معها بصورة جذرية.

وقد نظر أبو يوسف في واقع الدولة الإسلامية فوجد بعض المظالم التي تقع من الجباة على الرعية من المسلمين ومن أهل الذمة على السواء، ووقف على تشدد هؤلاء الجباة مع الرعية وظلمهم لهم في أثناء الجباية؛ مثل أخذ كرائم أموالهم، وزيادة مقدار الجباية بغير وجه حق، فضلاً عن عدم أمانة بعض العمال والجباة، وما أنزلوا بالرعية من ظلم، ولذا يلفت أبو يوسف نظرَ أمير المؤمنين إلى ذلك ويطلب منه مراقبة عُمّاله ومحاسبتهم ويُحذّره من ظلم رعيته، وأيضا من ظلم أهل الذمة. (انظر: د.عصمة أحمد فهمي أبو سنة: رأي القاضي أبي يوسف في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد من خلال كتاب الخراج، المكتبة المكية - مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

وهذا أمرٌ يُحْمَدُ لأبي يوسف؛ لأن الظلم يقوّض قواعد الملك، ولا بُد للممالك التي تُبْنى على الظلم أن ينهدم بنيانها ويذهب ملكها، ولذا قيل: دولة العدل تبقى وان كانت كافرة، ودولة الظلم تزول وان كانت مؤمنة.

ثانيا: كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي:

هو أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي بالولاء والشهير بالأحول، تتلمذ على يد سفيان الثوري فقيه الكوفة الشهير، والقاضي المحدّث شريك النخعي، وأبو بكر شعبة بن عياش المقرئ، وهو أحد رواة القراء السبعة؛ حيث أخذ القراءة عن عاصم بن أبي النجود عن عبد الله بن مسعود، وحدّث عن كبار المحدثين كسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة، وخلق كثير، وعاش في زمن الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي وأبو داود الطيالسي صاحب المسند، وتوفي في خلافة المأمون بن هارون الرشيد عام ٢٠٣ هـ.

وهذا الكتاب كان مخطوطة ضمن آلاف المخطوطات التي جمعها المستشرق الفرنسي شارل شيفر عضو المجمع العلمي الفرنسي ومدير معهد اللغات الشرقية، والذي أهدى هذه المخطوطات للمكتبة الوطنية الفرنسية، فجاء المستشرق الهولندي تيودور يو

نبول وحققها وطبعها بمطبعة بريل بمدينة ليدن الهولندية عام ١٨٩٤م (وهذا الكتاب موجود على شبكة المعلومات الدولية بصيغة pdf على الموقع: https://upload.wikimedia.org/wikisource/ar).

ثم حقق المحدث الشيخ أحمد شاكر هذا الكتاب وخرّج آثاره، وعرّف برواته، وطبعه في المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م، وقد اعتمد اللاحقون على جهده؛ فكل من طبع الكتاب بعده عالة على جهده، وقد حققه د. حسين مؤنس عام ١٩٨٧م، واعتمد على جهد الشيخ أحمد شاكر، واقتصر على الإضافات التاريخية (انظر كتاب: الخراج: أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣هـ)، المطبعة السلفية، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. الخراج: أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣هـ)، دار الشروق (القاهرة - بيروت)، تحقيق د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م).

وتكلم يحيى بن آدم في كتابه عن الغنيمة والفيء، والقطائع، واحياء الأرض الموات، والتحجير، والزكاة في الأرض والزرع والثمر، ومقادير الكيل كالوسق والصاع، وما يتصل بها من أحكام، وختم كتابه بباب في الخراج، واعتمد يحيى بن آدم على إيراد الآثار المتعلقة بهذه المسائل، ولكنه لم يتعرض لها من الناحية الفقهية.

> “ الفقهاء الأقدمون انتبهوا إلى أن الحاكم ليس مالكا لأموال الأمة يتصرف فيها كيف يشاء، وانما هو وكيل عنهم في إدارة هذا المال على نحو يحقق صالح جموع المحكومين. ”

ثالثا: كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر البغدادي:

أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، كان نصرانيًا وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء الفصحاء، وكان من الفلاسفة، وممّن يُشار إليه في علم المنطق، عُهدت إليه بعد إسلامه مناصب حكومية رفيعة وتولى في أواخر حياته منصب صاحب البريد، وتوفي عام ٣٣٧هـ.

ويبين قدامة بن جعفر في كتابه هذا الجانب الإداري والمالي للدولة؛ حيث بدأ كتابه بذكر ديوان الجيش، وبيّن كيف يتم تدوين أسماء الجند وأوصافهم، ورواتبهم ووقت استحقاقاتهم، ثم ذكر ديوان بيت المال وبيّن فيه كيف يتم محاسبة صاحب بيت المال، على ما يرد عليه من الأموال وما يخرج من ذلك في وجوه النفقات.

فكل ما يدخل إلى الخزانة العامة للدولة، وكل ما يخرج منها ينبغي أن يخضع لرقابة دقيقة، وهو ما يؤكد أن الفقهاء الأقدمين انتبهوا إلى أن الحاكم ليس مالكا لأموال الأمة يتصرف فيها كيف يشاء، وانما هو وكيل عنهم في إدارة هذا المال على نحو يحقق صالح جموع المحكومين، وهو ما يشير إلى جهات رقابية داخل الدولة على الإنفاق العام قد تشبه الجهاز المركزي للمحاسبات في أيامنا هذه.

وما يشير إليه قدامة بن جعفر البغدادي قد أكّد عليه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال والذي بدأه أبو عبيد بباب بعنوان "صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية وأصولها في الكتاب والسنة"، وبذلك فقد بدأ ببيان أن الحكام يقومون بالنيابة عن رعيتهم (شعوبهم) بصيانة الأموال المملوكة لهم جميعًا، فالمال ليس ملكًا للحاكم كما كان الحال في عهد القياصرة والأكاسرة، وانما هذا المال مملوك للأمة بأسْرها، والحاكم لم يَعُد مالكًا لرعيته بل إنه يعمل لديهم. وهذا الكلام وهذا الطرح لم يُعرف قبل ذلك، ولذلك فأبو عبيد يضع الدستور الحاكم للعلاقة بين الحاكم والرعية ويبين المهمة المنوطة به بكل دقة، وما عليه أن يفعله لصالحهم (وهو أشبه بما عُرف بعد ذلك بنظرية العقد الاجتماعي بين الحاكم والرعية).

وبعد ذلك يتكلم قدامة بن جعفر البغدادي عن بعض الجوانب الإدارية غير المطروقة مثل: ديوان الرسائل، وديوان التوقيع، وديوان الخاتم، (الخراج وصناعة الكتابة: أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة

بن زياد البغدادي، (المتوفى: ٣٣٧هـ)، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ٥٥).

رابعًا: كتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي:

لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، وهو من أشهر علماء دولة المماليك، ومن أبرز شيوخه ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي، وله مصنفات عديدة، منها: شرح علل الترمذي، وذيل طبقات الحنابلة، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه، وجامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف، ونزهة الأسماع في مسألة السماع، والقواعد الفقهية، وغيرها كثير، وقد وُلد ببغداد ونشأ بدمشق وتوفي بها عام ٧٩٥هـ). وقد جعل ابن رجب الحنبلي كتاب الاستخراج لأحكام الخراج في عشرة أبواب، وتحدث فيه عن معنى الخراج لغة، وانتهى إلى أنه المال الذي يُجْبَى ويُؤتَى به لأوقات محدودة، وأورد مواضع الخراج في القرآن الكريم كقوله تعالى: «أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ» (سورة المؤمنون: الآية ٧٢)، وفي قوله تعالى في قصة ذي القرنين: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً» سورة الكهف: جزء من الآية: ٩٤، وفيما يُوضع عليه الخراج من الأرضين وما لا يُوضع (الاستخراج لأحكام الخراج: لابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٩).

وهل الخراج أجر أو ثمن أو جزية؟ وبيّن أن أرض الخراج نوعان: صُلح وعنوة، وأن أرض الصلح فخراجها عند الجمهور في معنى الجزية وهو يسقط بالإسلام (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص٥٣).

ومقدار الخراج، وعرض لموقف عمر -الذي أخرجه البخاري في صحيحه- وهو ينهى عماله أن يفرضوا على الرعية ما لا يطيقون من الخراج: حيث وقف عمر على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف -رضي الله عنهم جميعًا- فقال: كيف فعلتما؟ أخاف أن تكونا قد حمّلتما الأرض ما لا تطيق؟ قال: قالا: حمّلناها أمرًا هي له مطيقة، وفيها كثير فضل، فأعاد عليهما فقال: انظرا أن تكونا حمّلتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمر رضي الله عنه: لئن سلّمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص٨١).

فهذا عمر ينتوي أن يجعل مظلة تأمينية للأرامل والأيتام بالعراق يستغنوا بها عن الناس، وتحقق لهم حياة كريمة. أما الباب الثامن فعرض فيه لحكم تصرُّفات أرباب الأرض الخراجية فيها، وفي الباب التاسع: عرض لحكم تصرفات الإمام في أرض العنوة، بعد أن تصير فيئًا للمسلمين أو وقفًا. أما الباب العاشر والأخير: فتحدث فيه عن حكم مال الخراج ومصارفه والتصرف فيه، وعرض لمسائل من نوادر الفقه الإسلامي التي تبين ثراءه وعمقه، منها اختلاف الفقهاء في الخراج على من هو؟ وقول من قال حكمه حكم الديون واجب في ذمته لأجل أرضه فهو موضوع على رقبة الأرض، كما توضع الجزية على رقاب الآدميين. هذا نص أحمد وإسحاق، ومسألة هل يجتمع الخراج مع العشر في أرض واحدة أم لا؟ وعرض لقول مالك والشافعي: يجتمع وجوب الخراج والعشر: لأن الخراج أجرة الأرض واجبة في الذمة، والعشر واجب في الزرع، ولمخالفة أبي حنيفة والكوفيين القائلين: لا عشر مع الخراج، وجعلوا الخراج متعلقا بنفس الثمرة والزرع، وهذا يشبه قولهم أنه يسقط بتلف الثمرة والزرع جائحة، وأنه لا يوجد كاملا إلا إذا أخرجت الأرض مثليه: فإن أخرجت مثله أخذ منه نصفه (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص١٤١ وما بعدها).

وغير ذلك من الاختلافات التي تبين مدى ثراء الفقه الإسلامي حتى في جوانبه الاقتصادية، وكيف أنهم عرفوا علم المالية العامة الذي يختص بموارد الدولة قبل أن تعرف الدول الحديثة هذا العلم بقرون عديدة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حملات ممنهجة ضد الإسلام.. ومن يزرع الكراهية يحصد العنف

إعداد جمال سعد حاتم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فداك أبي وأمي يا رسول الله، يا صاحب الخُلق الرفيع، يا نبي الرحمة والعفو والتسامح، وألف لا يا مكرون، ما هكذا تُورد الإبل!! فالرسوم المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وحملة البذاءات الشرسة والممنهجة ضد الإسلام والمسلمين، ومحاولة النَّيْل من رموزه ومقدساته؛ للزَّج بالإسلام في معارك سياسية، وصناعة فوضى، بدأت بهجمة مُغرضة على نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يرفضها ملياران من المسلمين في العالم، هبّوا رافضين أن تكون رموزهم ومقدساتهم ضحية مضاربة رخيصة في سوق السياسات والصراعات الانتخابية، لا حُرية رأي وتعبير.

من يزرع الكراهية.. يحصد العنف

فداك أبي وأمي يا رسول الله، وعلى صفحات مجلتنا الحبيبة مجلة التوحيد حذرنا في عدد الشهر الماضي من تنامي خطاب العنف والتحريض والكراهية الذي يسود أوروبا، وذلك عندما كنا نعلق على خطاب الكراهية لماكرون واتهاماته للمسلمين بأن الإسلام ديانة تعيش في أزمة، وما تلا ذلك من قيام بعض المتطرفين في الدنمارك والنمسا بأفعال بعنصرية بغيضة، حيث قام بعض المتطرفين بحرق المصحف وتمزيقه، مما أثار غضب المسلمين والهيئات الإسلامية، وعلى رأسها الأزهر الشريف بقيادة شيخ الأزهر، وهيئة كبار علمائه، ثم جاءت حادثة نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وإعادة نشر تلك الرسوم، ثم أشعل ماكرون الدنيا بتصريحاته العنصرية التي تحض على العنف والكراهية بتأييده لنشر تلك الرسوم، وأنها تأتي تحت "خداع" ما يسمونه حرية التعبير، وهي عنصرية ممقوتة، وتطرف يميني يؤجّج الصراعات، والعنف والكراهية، ثم ما تلا ذلك

من أحداث قتل لأستاذ تاريخ فرنسي، وقتل ثلاثة أمام كنيسة بدون ذنب ارتكبوه، وحوادث عنف انتشرت في أوروبا، بادرت كل الهيئات الإسلامية، وعلى رأسها الأزهر الشريف وكل الهيئات والمجامع الإسلامية بإدانتها واستنكارها، وديننا الحنيف ينهانا عن تلك الجرائم التي يرفضها الدين الإسلامي، مؤكدًا أن أول ما يُحاسب عليه يوم القيامة هو إزهاق الدماء المعصومة بغير ذنب، ومع أن ما حدث كان نتاجًا لخطاب الكراهية والتحريض الذي حذرنا منه، فالقهر يولد العنف، ويشعل الفتن، ولذا يجب قطع الطريق على تكريس الكراهية وتحويلها إلى وقود سهل للعناصر المتطرفة، وأصحاب الأفكار والعقائد الفاسدة.

خطيئة ماكرون.. والتاريخ الاستعماري لفرنسا

فداك أبي وأمي يا رسول الله، وما زالت ردود الأفعال في شتى أنحاء العالم الإسلامي تستنكر بشدة الرسومات الكاريكاتورية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي أعادت نشرها جريدة «شارل إبيدو»، ودفاع الرئيس الفرنسي عن تلك الرسومات التي أثارت سخطًا ومقتًا بين المسلمين في أنحاء المعمورة، وقد أعلن مجلس حكماء المسلمين خلال اجتماعه الأخير برئاسة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب عزمه على رفع دعوى قضائية ضد مجلة «شارل إبيدو» الفرنسية الساخرة التي نشرت الرسوم المسيئة، وضد كل من يسيء للإسلام ورموزه المقدسة، وأعرب عن رفضه الشديد لاستخدام لافتة حرية التعبير في الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومقدسات الدين الإسلامي، ورفض المتاجرة بالأديان في أسواق السياسة والدعاية الانتخابية.

وإذا كان الرئيس الفرنسي قد أثار مشاعر المسلمين بتلك الخطيئة؛ فإن ذلك يأتي متماشيًا مع التاريخ الاستعماري لفرنسا عبر العصور الماضية.

الاستعمار الفرنسي وحملات الإبادة للمسلمين

مارس الاحتلال الفرنسي حملات قتل وإبادة ونهب كثير من الدول؛ ففي عام ١٩٧٧م، جمعت فرنسا ٤٠٠ عالم مسلم تشادي وقطعت رؤوسهم بالسواطير، أثناء احتلالها تشاد.

وحينما دخلت فرنسا مدينة الجزائر أجرت ١٧ تجربة نووية في الجزائر في الفترة من (١٩٦٠ - ١٩٦٦)، وقد أسفرت تلك التجارب عن عدد ضخم من الضحايا يتراوح بين ٢٧-١٠٠ ألف، وما زال آثارها إلى اليوم.. إنها الحضارة الغربية صاحبة القيم الإنسانية!!

وحين خرجت فرنسا من الجزائر عام ١٩٦٢م، كانت قد قامت بزرع عدد من الألغام أكثر من عدد جميع سكانها في ذلك الوقت، حيث قاموا بزرع ١١ مليون لغم أرضي.

وقد احتلت فرنسا الجزائر لمدة ١٣٢ عامًا، حيث أباد الفرنسيون مليون مسلم في أول سبع سنوات، ومليون ونصف المليون في آخر سبع سنوات قبل رحيلهم.

وقد احتلت فرنسا تونس لمدة ٧٥ عامًا، والمغرب لمدة ٤٤ عامًا، وموريتانيا ٦٠ عامًا، ومالي ما يزيد على قرن، والسنغال ثلاثة قرون.

وحينما دخلت فرنسا مصر في حملتها المشئومة، ودخل الجنود الفرنسيون المساجد، وخاصة الجامع الأزهر بخيولهم، وكانوا يغتصبون النساء والحرائر أمام ذويهم، وكانوا يشربون الخمر في المساجد، وحولوا عددًا منها إلى إسطبلات لخيولهم.

ثم يقولون الآن: إن الإسلام دين إرهاب، وإن نبينا صلى الله عليه وسلم نبي الإرهاب!!

وفرنسا التي يمتلئ تاريخها بصور وحشية وهمجية في كل مكان وطأت فيه أقدام الفرنسيين، وكانوا يقومون باصطياد البشر في صحاري بلاد الشمال الإفريقي، ويتفننون في طرق القتل بين التمثيل وقطع الرؤوس،

بل يتباهون بتصويرهم على طوابعهم التذكارية، وحتى هذه اللحظة يعيش جنرالات الاحتلال الفرنسي مع أحفادهم مزهوين بماضيهم الأسود، والذي لم يقدموا عنه حتى الآن مجرد اعتذار عن تلك الجرائم، ثم يأتي من يحدثنا عن فضل فرنسا ويطالب بعودة الانتداب الفرنسي، ولن يذكر التاريخ قومًا أكثر وحشية بربرية من الجنس الأوروبي، ثم يأتي الرئيس الفرنسي ويتوهم أننا حمقى يستطيع أن يدغدغ مشاعرنا بكلمة أو بتغريدة على تويتر، وأن فرنسا دولة الحضارة والإنسانية، فمتى تنتهي تلك الكوميديا المأساوية.

إن الإسلام ليس لديه أزمة مع أحد، فالأزمة عندكم يا سيد ماكرون!!

إنا كفيناك المستهزئين

فداك أبي وأمي يا رسول الله، وإذا كان الغرب وأعداء الإسلام ممن وصفوا أنفسهم بأنهم أصحاب الحضارة التي تتعداهم فتصل إلى الدنيا كلها من حولهم، ولكن هيهات فماضيهم الأسود وحقدهم على والمسلمين سبب انتشار الإسلام في ربوع الدنيا، حتى أصبح الإسلام الديانة الثانية بعد المسيحية، وتخوفهم من انتشار الإسلام في أنحاء أوروبا، من أن يحتل الإسلام المرتبة الأولى، والشواهد والدلالات كثيرة.

وقد وعد رب العزة سبحانه رسوله الأمين سيد المرسلين، صلوات ربي وسلامه عليه، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبات كفاية عامة لا تُحصر أنواعها ولا أفرادها، كفاية لا تجعل للسخرية شأنًا.

والساخر بالنبي صلى الله عليه وسلم عدو لأعظم أولياء الله، وقد تولى الله حرب من عادى وليًا من أوليائه، فكيف إذا كان سيد الأولياء، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّه قَالَ: مَنْ عادَى لي وَليًا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالْحَرْب». (البخاري: ٦١٣٧). فهي حرب معلنة محسومة النتائج، ومن كان الله حِسبه كفاه أذى عدوه، «يا أَيُّهَا النَّبيُّ حَسْبُكَ اللَّه وَمَن اتَّبَعَكَ منَ الْمُؤْمنينَ» (الأنفال: ٦٤).

وقد يُجري الله ذلك الانتقام على يد البشر، ومن أجلى مظاهر ذلك قتل سابّ النبي صلى الله عليه وسلم، كما أجمع عليه علماء الإسلام على خلاف بينهم في استتابته، وفي حال تعذُّر إقامة الحدّ عليه، فإن الله هو الذي يتولى ذلك الانتقام كما قرره العلماء، وقد يُجريه بحيوان بهيم، كما روى الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي أن ابنًا لأبي لهب كان يسبّ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم سلط عليه كلبك». فخرج في قافلة يريد الشام، فنزل منزلاً، فقال: إني أخاف دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا له: كلا فحطوا متاعهم حوله، وقعدوا يحرسونه، فجاء الأسد فانتزعه من بينهم، فقتله وانصرف.

وقد يجري الله ذلك الانتقام بواسطة جماد، فقد روى البخاري في صحيحه: كان رجلٌ نَصْرانيًا فَأَسْلَمَ وقَرَأَ الْبقَرةَ وآلَ عمْرانَ فَكانَ يكْتُبُ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فعَادَ نَصْرانيًّا فكانَ يقُولُ مَا يدْري مُحمَّدٌ إلَّا مَا كَتَبْتُ لَه فَأَمَاتَهُ اللَّه فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فقَالُوا هَذَا فعْلُ مُحمَّد وأَصْحابه لمَّا هَرَبَ منْهُمْ نَبَشُوا عنْ صَاحبنَا فَأَلْقَوْهُ فَحفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا فَأَصْبحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فقَالُوا هَذَا فعْلُ مُحمَّد وأَصْحَابه نَبَشُوا عنْ صَاحبنَا لَمَّا هَرَبَ منْهُمْ فَأَلْقَوْهُ فَحفَرُوا لَهُ وأَعْمَقُوا لَهُ في الْأَرْض مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعلمُوا أَنَّهُ لَيْسَ منْ النَّاس فَأَلْقَوْهُ. (البخاري: ٣٤٢١).

فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن من صور

كفاية الله نبيه استهزاء المستهزئين: تجديد محبته في قلوب المؤمنين كلما حدثت إساءة، وها نحن نرى جموع المؤمنين الغفيرة تهبَ مدافعةَ عن نبيها، وقرة عينها، ومطالبة بمعاقبة المجرمين.

ومع كفاية الله نبيه سخرية المستهزئين إلا أن واجب نصرته وتعزيره لاحقٌ بكل مسلم بما يطيق ولا يتحقق الفلاح إلا بذلك. «فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

ومن أجلى صور المناصرة والتعزيز اتباع سنته حال الغضب والرضى والمنشط والمكره، ونشرها والصدع بها، والزود عنها، وجهاد شانئها. هكذا تكون نصرته، وبقدر تلك النصرة تكون كفاية الله للعبد، وتخليد عمله. قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قومًا يجلسون ويُجلس إليهم. فقال: إن من جلس للناس جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم.

لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (الشرح: ٤)، وأهل البدعة كرهوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (الكوثر: ٣).

ومحبته صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي- تكون بنصرته في حياته ونصرة سنته بعد موته صلى الله عليه وسلم. قال الإمام النووي رحمه الله: قال القاضي عياض رحمه الله: «ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرة سنته والذبَ عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دُونه». (شرح النووي على صحيح مسلم).

وسبحان الله ما أحدٌ على مر التاريخ استهزأ بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الهدى والرحمة أو سخر منه إلا عاجله الله بالهلاك؛ سنة كونية متكررة. «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ». «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».

محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء

فداك أبي وأمي يا رسول الله، فمحبتك أصلُ عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة: ٢٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ». (البخاري: ٢١).

ومع وضوح هذا الأمر لعامة المسلمين وخاصتهم، إلا أننا نرى بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسلام غلت في حب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخرجه عن حدَ البشرية، وإن كان الغلو مذمومًا، فإن هذا لا يعني أن يتصف العبد بنقيض ذلك حتى يصل إلى الجفاء، ولا يتأدب بما أوجبه الله على عباده تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل المؤمن الحق هو الذي يتصف بالوسطية والعدل في شئونه كلها، ومن ذلك عبادة تعظيم الأنبياء، وإعطائهم حقهم من التعظيم دون غلو أو جفاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخلاقنا من الكتاب والسنة

إعداد إبراهيم رفعت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: فقد أكد أهل الفضل من العلماء الربانيين على أن إكرام الضيف من أهم مكارم الأخلاق العظيمة التي اهتمت بها الشرائع السماوية، ومن الخصال التي حث عليها ديننا الحنيف، وهو من جميل وأعظم الأخلاق التي تمسكت بها جميع الرسل والأنبياء، والكرم لا يتمثل في إطعام الطعام فقط أو الإسراف فيه، إنما هو المبادرة في بذل المعروف والإحسان والرحمة والعدل والرأفة والحب والمودة والابتسامة وجبر الخواطر وغير ذلك من صور البر المختلفة قبل إطعام الطعام على حبه المساكين والفقراء والأضياف.

والكرم باب من أبواب الخير العظيم وسبيل المتقين فقد أكدت الشريعة الإسلامية على قدر وشأن الكريم، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: "سُئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من أكرمُ النَّاس؟ قال: أتقاهم لله"). (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ) رواه البخاري ومسلم.

فالكرم من حسن الإسلام وكمال الإيمان، ودليل على حسن الظنّ بالله تعالى، وقد رزق الله -سبحانه وتعالى- الكريم محبته ومحبة النّاس له.

فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة العديد من الآيات والأحاديث الشريفة التي تحث المسلم على إكرام الضيف وآداب الضيافة لنتعلم منها و نلتزم بها في حياتنا فهمًا وتطبيقًا عمليًا، ولنا العظة والعبرة في قصة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع ملائكة الرحمن و قد أكرمهم و قدم لهم الطعام، قال الله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) (الذاريات: ٢٤-٢٧).

فالآية دليل قاطع على أن نبي الله إبراهيم عليه السلام هو أول من أكرم ضيفه حسب ما جاءت به الآية الكريمة.

الله أكرم الأكرمين:

من صور كرم الله عز وجل على عباده أن جعل الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء وجعل السيئة بواحدة، قال تعالى: «مَن جاءَ بالحَسَنَةِ فلهُ عشرُ أمثالها ومَن جاءَ بالسَّيِّئةِ فلا يُجزى إلَّا مثلَها وهم لا يُظلَمون» (الأنعام: ١٦٠)، وقال تعالى: «مَثلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثلِ حبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابل في كلِّ سُنبلةٍ مائةُ حبَّةٍ والله يُضاعفُ لمن يشاءُ والله واسعٌ عليمٌ» (البقرة: ٢٠١).

ومن أعظم صور الكرم والبذل والعطاء، أن يجود

المسلم بنفسه وماله وولده في سبيل الله؛ لقوله تعالى: «إنَ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَ لهمُ الجنَة يُقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والانجيل والقرآن ومَن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة: ١١١).

وقال تعالى: «قُل إنَ ربِي يبسُط الرزَق لمن يشاءُ من عباده ويقدرُ له وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرَازقين» (سبأ: ٣٩).

أي ما أنفقتم في رضا الله -عز وجل- فهو يخلفه في الدنيا بالمال أو بالقناعة وفي الآخرة بالجزاء المضاعف.

كرم النبي صلى الله عليه وسلم:

عندما نتحدث عن الكرم والبذل والعطاء فلابد أن نبحر في أهم صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من أمانة وصدق ورحمة وبذل وعطاء إلى غير ذلك من خصاله الشريفة؛ وبالرغم من ذلك لا يزال الحاقدون ينفثون شرورهم للنيل منه صلى الله عليه وسلم إلا أن مساعيهم دائمًا ما تذهب سدى وكأنها ليست إلا نقطة سوداء في بحر صاف يترقرق ماؤه النقي؛ فخسؤوا وضل سعيهم.

فالكرم من الصفات التي لازمت نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، فلم يكن كرمه وسخاؤه بذلًا عاديًا وإنما كان فياضًا وبسخاء غير معهود؛ فلا ينفق فقط ما يزيد عن حاجته، وإنما كان يتصدق صلى الله عليه وسلم حتى بما هو في حاجة إليه؛ عرف عنه أنه لا يرد سائلًا وأنه يعطي عطاء من لا يخاف فقرًا...

وقد حثنا صلى الله عليه وسلم أن نقتدي به وأن يتصدق كل من سعته، وأوصى أمته بالإنفاق وذم البخل والشح؛ حيث قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما، اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا" (رواه البخاري).

وعطاء النبي صلى الله عليه وسلم ونبله لم يقتصر على ذوي القربى والمحبين والمناصرين له فقط، بل امتد ليشمل أعداءه أيضًا؛ فقد وصفته أم المؤمنين خديجة: رضي الله عنها بقولها: "إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر". رواه البخاري.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم لأصحابه ولأمته كافة نموذجًا في الإيثار؛ فكان يؤثر على نفسه حتى وإن كانت به حاجة وخصاصة؛ فعن سهل بن سعد، أنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ببردة؛ فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه فاكسنيها. فقال: "نعم". فلما قام النبي لام أصحابه الرجل، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي؛ لعلي أكفن فيها). أخرجه البخاري.

ومن أعظم ما جاء في إكرام الضيف وإيثاره على النفس والأولاد هذه القصة العظيمة التي عجب الله من أصحابها، وضحك إليهم، وأنزل الوحي بها على نبيه صلى الله عليه وسلم، أن الله في السماوات عجب وضحك إلى هذين الصحابيين الجليلين، الرجل وزوجته.

والقصة أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم جائعًا يريد من يضيفه، فبعث إلى نسائه صلى الله عليه وسلم، فقلن: ما معنا إلا الماء؟ وهذا بيت أعظم قائد في الأمة ما عنده إلا ماء، فقال رسول اللهصلى الله عليه وسلم: من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، قال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، إذا طلبوا الأكل نوميهم، فهيئت طعامها وأصلحت سراجها، يعني: أشعلت الفتيلة، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان،فلما أصبح الضيف وصاحب البيت، غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ضحك الله الليلة -أو عجب- من فعالكما، فأنزل الله: قوله تعالى في سورة الحشر (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (رواه البخاري).

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

العبَر في انتقام الله ممَّن سخر من سيّد البشر

الحلقة الأولى

إعداد: د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلما ظهر علينا في هذه الفترة-كسابقتها كثير- شرذمة من أنامل حاقدة وصور آثمة ونفوس سافلة تحاول النَّيل من أطهر الخلق وسيد الأنبياء؛ فكان ذلك جرحًا ألمْ بجميع المسلمين فوجب البيان.

والبيان فطرة وديانة؛ إذ ندين بذلك حبًا وعقيدةً، وسُنة النبي صلى الله عليه وسلم تمتلئ بمثل هذه المعاني، والتي تبين تكفُّل الله عز وجل بكفاية نبيه والانتقام له؛ فالبشرى يا عباد الله، ومن ذلك:

الحديث:

عنْ أنسٍ رَضيَ اللَّهُ عنْه، قالَ: كانَ رَجُلٌ نصْرانيًّا فأسْلمَ، وقرأ البقرةَ وآل عمْران، فكانَ يكْتُبُ للنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ، فعادَ نصْرانيًّا، فكانَ يقُولُ: ما يدْري مُحمَّدٌ إلَّا ما كتبْتُ له فأماتَهُ اللَّهُ فدفنُوهُ، فأصْبحَ وقدْ لفظتْهُ الأرْضُ، فقالُوا: هَذا فعْلُ مُحمَّدٍ وأصْحابه لمَّا هَربَ منْهُمْ، نبشُوا عنْ صاحبنا فألقوهُ، فحفرُوا لهُ فأعْمَقُوا، فأصْبحَ وقدْ لفظتْهُ الأرْضُ، فقالُوا: هذا فعلُ مُحمَّدٍ وأصْحابه، نبشُوا عنْ صاحبنا لمَّا هربَ منْهُمْ فألقُوهُ، فحفرُوا لهُ وأعْمقُوا لهُ في الأرْضِ ما اسْتطاعُوا، فأصْبحَ وقدْ لفظتْهُ الأرْضُ، فعلمُوا: أنَّهُ ليْسَ منَ النَّاسِ، فألْقُوهُ.

التخريج:

هذا الحديث متفق عليه إذ روي في:

١- صحيح البخاري كتاب : المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم : ٣٤٥٢.

٢- صحيح مسلم - كتاب: المنافقين حديث رقم: ٥١١٦.

توطئة:

نحن في رحاب حديث من صحيح السنة ودلائل النبوة يرويه تارة شيخ المحدثين في كتاب : مناقب سيد المرسلين، وتارة تلميذه وقرينه الإمام مسلم في كتاب: المنافقين؛ فكأنهم يقولون معًا: هذا الحديث الشريف وإن كان بيانًا لحال المنافقين وبعض صفاتهم؛ فهو من مناقب سيد المرسلين،

ومن دلائل نبوة خاتم النبيين، فلولا اشتعال قلوب المرجفين وغليانها حقدًا وحسدًا وغيرةً ما كان لنا أن نشمّ طيب عَرْف عود محبة الله لنبيه ونصرته له؛ فالمنْحة وليدة المحْنة، والبشرى عاقبة المسلمين.

شرح الحديث:

قال في هدي الساري شرح صحيح البخاري (كتاب المناقب) ج ٨ ص ١١٠: عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: (كان رجل نصرانيًا) لم يُسمَّ، وفي مسلم أنه من بني النجار (فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي -صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ- الوحي: (فعاد نصرانيًا) كما كان، ولمسلم من طريق ثابت عن أنس فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه (فكان يقول) لعنه الله: (ما يدري محمد إلا ما كتبت له؛ فأماته الله)، ولمسلم: فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم (فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض) بفتح الفاء في الفرع، وقال السفاقسي وغيره بكسرها أي: طرحته ورمته من داخل القبر إلى خارجه: لتقوم الحجة على من رآه ويدل على صدقه -صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم- (فقالوا) أي أهل الكتاب (هذا) الرمي (فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم) وللإسماعيلي: لما لم يرض دينهم (نبشوا عن صاحبنا) قبره (فألقوه) خارجه (فحفروا له فأعمقوا) بالعين المهملة أبعدوا (فأصبح) ولأبي ذر: فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح (وقد لفظته الأرض، فقالوا: (هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم) سقط لما هرب منهم لأبي ذر (فألقوه) خارج القبر (فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد) ولأبي ذر: قد (لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس)، بل من رب الناس (فألقوه) وفي رواية ثابت عند مسلم: فتركوه منبوذًا.

هذا ومطابقة الحديث للترجمة من حيثُ ظهرت معجزة النبي -صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم- في لفظ الأرض إياه مرات؛ لأنَّهُ لما ارتدَّ عاقبه الله تعالى بذلك لتقوم الحجة على من يراه ويدل على صدق الشارع.

و(ينظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله: ج٦/ ص ٧٢٣)، وكذلك (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) في شرحه للحديث.

مما يستفاد من الحديث:

أولا: الابتلاء من سنة الله عز وجل في عباده؛ إذ يبتلى المرء على قدر دينه، الأمثل منهم فالأمثل، فكان أشد الناس بلاء الأنبياء وبيانه من القرآن: قال تعالى: «كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» (الذاريات:٥٢-٥٣)، وقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ» (الأنعام:١١٢)، وقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا» (الفرقان:٣١)، ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاءَ الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل..."؛ الحديث، وهو صحيح.

فيا أيها المسلمون: بشراكم اليوم ببشرى رسول الله لكم على ما بكم من غيظ وحزن.

ثانيًا: ومن البشريات أن يعتقد المسلم -كما يعتقد الشهادتين والقرآن- يعتقد أن الله ناصر دينه ومنتقم لنبيه العدنان صلى الله عليه وسلم.

ودليل ذلك ما استفدناه من هذا الحديث؛ إذ هذا الحديث دليل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في "الصارم المسلول على شاتم الرسول" (ص٢٣٣) معلقاً على القصة: "فهذا الملعونُ الذي افترى على النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له؛ قصمهُ اللهُ وفضحهُ بأن أخرجهُ من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادة، يدلُ كلَ أحد على أن هذا عقوبة لما قالهُ، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامةُ المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن اللهَ منتقمٌ لرسوله صلى اللهُ عليه وسلم ممن طعن عليه وسبهُ، ومظهرٌ لدينه، ولكذبِ الكاذبِ إذا لم يمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحد".ا.هـ.

وهناك أدلة لا تُحْصى كثرة، ومن ذلك:

١- قال عز وجل: "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ" (الكوثر:٣)، وقال أيضاً: "إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ" (الحجر: ٩٥)، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٢٧٦/٦):

"وقد سمى أهلُ العلم بعضَ مَنْ كفاهُ اللهُ إياهُ منْ المستهزئين، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمرُ العظيمُ الذي أكرم الله نبيه به... ".ا.هـ.

وقال أيضًا رحمه الله في "الصارم المسلول" مقررًا قاعدة تؤكد ما اعتقدناه، ذاكرًا من التجارب بخصوص سبِّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ما استفدناه فيقول: "ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوهُ مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حُصر فيها بنو الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنعٌ علينا حتى نكادُ نيأسُ منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخرُ إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتحُ المكانُ عنْوةً، ويكونُ فيهم ملحمةٌ عظيمةٌ، قالوا: حتى إنا كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه".

- وفي زماننا تروى قصة لسلفنا شيخ أنصار السنة رحمه الله الشيخ أحمد شاكر عن والده ذاكرًا لعقوبة حلت بمن انتقص الرسول في ذلك الزمان، وهي لأحد خطباء مصر، وكان فصيحاً متكلماً مقتدراً وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين، فقال في خطبته: جاءه الأعمى-يقصد به طه حسين وأنه جاء لهذا الأمير- فما عبس بوجهه وما تولى!

فما كان من الشيخ محمد شاكر- والد الشيخ أحمد شاكر وكان من علماء الأزهر- إلا أن قام بعد الصلاة، يعلن للناس أن صلاتهم باطلة، وعليهم إعادتها؛ لأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم. (وقد شكلت لجنة من الأزهر آنذاك وقرروا أن هذا الخطيب عرَّض بجناب النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو عبس وتولى، والملك الذي أراد مدحه كان أفضل فلا عبس ولا تولى. هكذا قال هو.

يقول أحمد شاكر: "ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسمُ بالله لقد رأيته بعيني رأسي-بعد بضع سنين، وبعد أن كان عالياً منتفخاً، مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء- رأيته مهيناً ذليلاً، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه، فما كان موضعاً للشفقة، ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة".

ونقول بعيدًا عن جدليات أن الخطيب يعذر أو لا يعذر، لكننا ذكرنا القصة لاستخلاص العبرة ممن تجرأ على التنقص من رسول الله.

فائدة: حكم السب ومناطه:

أولاً: جُرم الطاعن على الرسول صلى الله عليه وسلم السابّ له أعظم من جرم المرتد. ودليل ذلك: لما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من ابن أبي السرح أهدر دمه لما طعن في النبوة وافترى عليه الكذب، مع أنه قد أمَّن جميع أهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه أشد المحاربة، ومع أن السُّنة في المرتد أنه لا يُقتل حتى يستتاب إما وجوبًا أو استحبابًا.

ثم إن إباحة النبي صلى الله عليه وسلم دمه بعد مجيئه تائبًا مسلمًا وقوله: "هلا قتلتموه". ثم عفوه عنه بعد ذلك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أن يقتله وأن يعفو عنه ويعصم دمه، وهو دليل على أن له-صلى الله عليه وسلم- أن يقتل من سبَّه وإن تاب وعاد إلى الإسلام".

وقال ابن تيمية في الصارم المسلول ج٣ ص٩٧٨.. وما بعدها: قال القاضي عياض: "جميع من سبَّ النبي أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبَّهه بشيء على طريق السبِّ له والازراء عليه أو البغض منه والعيب له فهو سابٌ له، والحكم فيه حكم الساب يُقتل، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له أو دعا عليه أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عيبه في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورًا، أو عيره بشيء مما يجري من البلاء والمحنة عليه أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه: قال هذا كله إجماع من العلماء وأئمة

الفتوى من لدن أصحابه وهلم جرا".

وقال شيخ الاسلام: "ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه والازراء به أو لا يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعًا له أو لا يقصد شيئًا من ذلك، بل يهزل ويمزح أو يفعل غير ذلك؛ فهذا كله يشترك في هذا الحكم إذا كان القول نفسه سبًا (فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب..)

وقال «ومن قال (مجرد قول) ما هو سب وتنقص له؛ فقد آذى الله ورسوله وهو مأخوذ بما يؤذي به الناس من القول الذي هو في نفسه أذى وان لم يقصد أذاهم... ألم تسمع إلى الذين قالوا: «إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ»؛ فقال الله تعالى: «أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» (التوبة:٦٥-٦٦)، وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي أو حكم من حكمه أو يدعى لما سنه فيلعن ويقبح ونحو ذلك... وقد قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء:٦٥)؛ فأقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه ثم لا يجدوا في نفوسهم حرجًا من حكمه فمن شاجر غيره في أمره وحرج لذكر رسول الله حتى أفحش في منطقه، فهو كافر بنص التنزيل، ولا يُعذر بأن مقصوده رد الخصم؛ فإن الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. ا.هـ

هذا وما سبق من الحكم بوجوب القتل هو حكم في الدنيا حتى لا تكون الأمور فوضى بخصوص صيانة جناب النبوة فيفتري كل سفيه، ثم يبادر بإعلان توبة كاذبة أو صادقة؛ فالله أعلم بها، فكأن عقابه في الدنيا أنه يُقتل بأمر أولياء الأمور، وتوبته تُوكل في الآخرة إلى ربه وننبه على هذا لأمرين:

الأول: حتى لا يلتبس على القارئ ما يلبسه بعض المخالفين بسؤالهم كيف يغفر الله للكافر بالله إذا تاب ولا يغفر لهذا الساب؟ فالجواب ما سبق بيانه.

والثاني: أن تطبيق الأحكام الشرعية تكون لأولياء الأمور، ولا تُترك لعوام الناس وإلا كانت المفاسد أعظم، ولصارت الأمور فوضى.

هذا، وللحديث بقية في شفاء صدور الموحدين ببيان منزلة سيد المرسلين في شهرنا القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

يسر أسرة تحرير مجلة التوحيد أن تتقدم بخالص وأصدق التهاني القلبية للباحث/ أحمد عبد الرحمن محمد السيد، المدرس المساعد بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، فرع تفهنا الأشراف، وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في رسالته التي كانت بعنوان «التسويق الهجومي في ميزان الفقه، دراسة مقارنة».

وقد تكونت لجنة المناقشة والإشراف من كل من:

١- الأستاذ الدكتور السيد حافظ خليل السخاوي مشرفًا أصليًا.

٢- الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد منصور، مناقشًا داخليًا.

٣- أ.د/ زينب عبد الحافظ أحمد عطية، مناقشًا خارجيًا.

٤- أ.د/ مصطفى محمد عبد الجليل أبو حجازي مشرفًا مشاركًا.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص التهنئة متمنية لسيادته مزيدًا من التقدم والرقي.

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

فقه المرأة المسلمة

فقه المرأة في النكاح

الحلقة (٣٩)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن معنى الخِطبة، وحكم خِطبة المعتدة، وحكم النظر إلى المخطوبة، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولًا: حظر الخلوة بالمخطوبة:

الخِطبَة: وعد بالزواج، وليس بين الخاطب والمخطوبة صفة شرعية تجعل له الحق أن يخلو بها، ومن المعلوم أنه لا يجوز لرجل أن يخلو بامرأة لا تحل له؛ فعن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُل بِامْرَأَة إِلَّا وَمَعَهَا ذو مَحْرَم، وَلَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذي مَحْرَم» أَخرجه البخاري (٥٢٣٣) ومسلم (١٣٤١).

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُل بِامْرَأَة لَا تَحِلُّ لَهُ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ إِلَّا مَحْرَم؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِد وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» أخرجه أحمد في المسند (١٥٦٩٦)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٦/٢١٦).

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ» أخرجه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢).

وهذه أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد بتصرف (٣/ ٣١): "وأما النظر إلى المرأة عند الخطبة، فأجاز ذلك مالك إلى الوجه والكفين فقط، ومنع ذلك قوم على الإطلاق. وأجاز أبو حنيفة النظر إلى القدمين مع الوجه والكفين.

والسبب في اختلافهم أنه ورد الأمر بالنظر إليهن مطلقًا، وورد بالمنع مطلقا، وورد مقيدًا، أعني بالوجه والكفين، على ما قاله كثير من العلماء في قوله تعالى: «ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها» (النور: ٣١) أنه الوجه والكفان، وقياسًا على جواز كشفهما في الحج عند الأكثر، ومن منع تمسك بالأصل وهو تحريم النظر إلى النساء".

جاء في المغني لابن قدامة (٧/ ٩٦): "ومن أراد أن يتزوج امرأة، فله أن ينظر إليها من غير أن يخلو بها، لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها،.... ولا يجوز له الخلوة بها؛ لأنها محرمة، ولم يرد الشرع بغير النظر، فبقيت على التحريم؛ ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة المحظور".

جاء في شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٥/ ١٤٣): "ومن أراد أن يتزوج امرأة فله أن ينظر إليها من غير أن يخلو بها".

قال الحافظ في الفتح (٢٤٢/٩): "قوله: «إيَّاكُمْ والدُّخُولَ» بالنصب على التحذير، وهو تنبيه المخاطب على محذور ليحترز عنه كما قيل: إياك والأسد، وقوله «إياكم» مفعول بفعل مضمر تقديره «اتقوا»، وتقدير الكلام اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء، والنساء أن يدخلنِ عليكم، ووقع في رواية ابن وهب بلفظ: «لا تَدْخُلوا على النِّساء» وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى".

قال الشوكاني في النيل (١٣٤/٦): "والخلوة بالأجنبية مجمع على تحريمها، كما حكى ذلك الحافظ في الفتح، وعلة التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما وحضوره يوقعهما في المعصية".

ثانيا: العدول عن خطبة المرأة وأثره:

إذا قدم الخاطب صداقا (مهرًا) للمخطوبة، ثم عدل عن الخطبة أو عدلت هي عن الخطبة، ففي كلتا الحالتين يجب ردَ الصداق للخاطب؛ لأنه دفعه مقابل الزواج، وحيث إن الزواج لم يتمَّ فله الحق في استرداد ماله كله.

أما ما يقدَمه الخاطب من هدايا؛ فإن كانت على سبيل الهبة المطلقة فليس له أن يرجع فيها؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العائدُ في هبَته كالعائد في قيْئه» أخرجه البخاري (٢٦٢٢) ومسلم (١٦٢٢). وفي رواية: «ليْسَ لنَا مَثلُ السَّوْء الَّذي يَعُودُ في هبَته كالكَلْب يَرْجعُ في قيْئه» أخرجه البخارى (٢٦٢٣) ومسلم (١٦٢٠).

وهذه أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في المدونة (٤/ ٤١٤): "أرأيت إن وهبت لرجل هبة فعوضني منها، أيكون لواحد منا أن يرجع في شيء مما أعطى في قول مالك؟ قال: لا".

جاء في المجموع شرح المهذب (١٥/ ٣٨٣): "وإلى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تُقبَض ذهب جمهور العلماء إلا هبة الوالد لولده".

جاء في المغني لابن قدامة (٦/ ٦٥): "ولا يحل لواهب أن يرجع في هبته، ولا لمُهْد أن يرجع في هديته، وإن لم يثب عليها؛ يعني وإن لم يعوَض عنها. وأراد من عدا الأب؛ لأنه قد ذكر أن للأب الرجوع، بقوله: "أمر برده"، فأما غيره فليس له الرجوع في هبته ولا هديته.

جاء في المحلى لابن حزم (٨/ ٧١): "ومن وهب هبة صحيحة لم يجز له الرجوع فيها أصلاً مذ يلفظ بها إلا الوالد، والأم فيما أعطيا، أو أحدهما لولدهما فلهما الرجوع فيه أبدًا - الصغير والكبير سواء. وسواء تزوج الولد أو الابنة على تلك العطية أو لم يتزوجا، داينا عليها أو لم يداينا".

قال الشوكاني في السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: ٦٢٩): "بعد أن ساق حديث "العائد في هبته كالعائد يعود في قيئه": فإن هذا الحديث المشمل على هذا التشبيه المفيد للتكريه للرجوع بأبلغ ما يكرهه الإنسان، وأعظم ما تنفر عنه نفوس بني آدم يدل أبلغ دلالة على عدم جواز الرجوع فيها".

قال الحافظ في الفتح (٢٧٩/٥): "وإلى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تقبض؛ ذهب جمهور العلماء إلا هبة الوالد لولده". انتهى كلام الحافظ.

أما إذا قدم الهدية بشرط فله الحق في الرجوع فيها إذا لم يتم الشرط، كالذي يحدث في هذه الأيام، يقدم الخاطب شبكة للعروس تأكيدًا لرغبة في إتمام الزواج؛ فإن لم يتم الزواج فله الحق أن يأخذ الشبكة.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨٣/٣١)، عما إذا وهب لإنسان شيئا ثم رجع فيه، هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليْسَ لواهبٍ أنْ يَرْجعَ في هبَته إلا الوَالدُ فيْما وَهبه لوَلده» صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٩) بنحوه، وصحيح الترمذي (٢١٣٢) وصحيح سنن ابن ماجه (٢٣٧٧) وغيرهم.

وهذا مذهب الشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، إلا أن يكون المقصود بالهبة المعاوضة، مثل من يعطي رجلاً عطية ليعاوضه عليها أو يقضي له حاجة، فهذا إذا لم يوف بالشرط المعروف لفظا أو عرفا؛ فله أن يرجع في هبته أو قدرها، والله أعلم.

ثالثا: الكفاءة في النكاح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

وعن سهل قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا تَقُولُونَ في هَذَا. قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» أخرجه البخاري (٥٠٩١).

أولا: اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين؛ فلا يحل للمرأة المسلمة أن تتزوج بالكافر؛ لقوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ» (البقرة: ٢٢١).

قال الحافظ في الفتح (٣٥/٩): "اعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه، فلا تحل المسلمة لكافر أصلا... وقد جزم مالك بأن اعتبار الكفاءة مختص بالدين، ونقل عن ابن مسعود ومن التابعين عن محمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز.

ثانيًا: اختلف الفقهاء في اعتبار الكفاءة في غير الدين في النكاح على قولين:

القول الأول: الكفاءة في النسب غير معتبرة، فلا يشترط لصحة الزواج التكافؤ في النسب؛ لعدم ورود الدليل الصحيح الدال على اعتبارها، فإذا تزوجت المرأة من غير كفء فالنكاح صحيح.

واستدلوا أيضًا بحديث فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها، فقال: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ: انْكِحِي أُسَامَةَ» أخرجه مسلم (١٤٨٠) وأبو داود (٢٢٨٤).

ومعلوم أن أسامة كان من الموالي، وفاطمة قرشية ومع ذلك زوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه؛ فدل ذلك على الكفاءة في النسب غير معتبرة.

والى هذا القول ذهب المالكية والشافعية.

القول الثاني: الكفاءة في النسب معتبرة فلا يجوز نكاح المرأة ممن ليس بكفء لها في النسب.

وحجتهم: قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء ولا يزوجن إلا من الأكفاء"؛ ضعيف فيه مبشر بن عبيد، قال البخاري وأحمد: ليس بشيء يضع الحديث. انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (٢٣٥/٤)، المجروحين لابن حبان (٣٧٠/٢)، والسنن الكبرى للبيهقي (١٣٣/٧)، والمعجم الأوسط للطبراني (٦/١).

ولأن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس فلا بد من اعتبارها.

والى هذا القول ذهب الحنفية والإمام أحمد.

جاء في الهداية في شرح بداية المبتدي (١/ ١٩٥): "الكفاءة في النكاح معتبرة": قال عليه الصلاة والسلام: " ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء، ولا يزوجن إلا من الأكفاء"، ولأن انتظام المصالح بين المتكافئين عادة؛ لأن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس، فلا بد من اعتبارها بخلاف جانبها؛ لأن الزوج مستفرش فلا تغيظه دناءة الفراش".

جاء في بلغة السالك لأقرب المسالك (٢/ ٤٠٠): "الكفاءة المطلوبة في النكاح.... الحاصل: أن الأوصاف التي اعتبروها وفاقًا وخلافًا ستة أشار لها بعضهم بقوله:

نسب ودين صنعة حرية
فقد العيوب وفي اليسار تردد

فإن ساواها الرجل في تلك الستة فلا خلاف في كفاءته وإلا فلا، واقتصر المصنف على ثلاثة منها: وهي: المماثلة في الدين والحال والحرية، ولا يشترط فيها المماثلة في غير ذلك على المعتمد فمتى ساواها الرجل في تلك الثلاثة كان كفئًا.

جاء في شرح المهذب (٢٨٢/١٧): "فإن زوجت المرأة من غير كفء برضاها ورضي سائر الأولياء، صح النكاح، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأكثر أهل العلم، وقال سفيان وأحمد وعبد الملك بن الماجشون: لا يصح. دليلنا: ما روي أن فاطمة بنت قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن معاوية وأبا الجهم خطباني على حد الرواية التي ساقها المصنف أو على حد الرواية التي أخرجها أكثر الجماعة بإشراك أسامة في خطبتها ثم اختار النبي صلى الله عليه وسلم

أسامة لها؛ لخلوه من صعلكة معاوية، وقسوة أبي جهم؛ مع أنه كان من الموالي، قالت: فتزوجت أبا زيد، وفاطمة قريشية وأسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: حجم أبو هند رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليَافوخ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَا بَنِي بَيَاضَةَ أَنْكِحُوا أَبَا هِنْدٍ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِ. صحيح سنن أبي داود (٢١٠٢). رواه أبو داود والحاكم وحسنه ابن حجر في التلخيص فندبهم إلى التزوج من حجام وليس بكفؤ لهم.

جاء في المغني لابن قدامة (٧/ ٣٣): وإذا زوجت من غير كفء، فالنكاح باطل اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الكفاءة لصحة النكاح، فروي عنه أنها شرط له".

وفي (ص: ٣٥): "والكفء: ذو الدين والمنصب يعني: بالمنصب الحسب، وهو النسب. واختلفت الرواية عن أحمد في شروط الكفاءة، فعنه هما شرطان؛ الدين، والمنصب، لا غير. وعنه أنها خمسة؛ هذان، والحرية، والصناعة، واليسار".

جاء في فتح الباري (٣٥/٩): واعتبر الكفاءة في النسب الجمهور. وقال أبو حنيفة: قريش أكفاء بعضهم بعضا والعرب كذلك... وقال الثوري: إذا نكح المولى العربية يفسخ النكاح، وبه قال أحمد في رواية، وتوسط الشافعي فقال: ليس نكاح غير الأكفاء حرامًا، فأردُّ به النكاح، وإنما هو تقصير بالمرأة والأولياء فإذا رضوا صح ويكون حقًا لهم تركوه، فلو رضوا إلا واحد فله فسخه.

ثم قال الحافظ: ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث".

قال الصنعاني في سبل السلام (١٨٩/٣): "وقد اختلف العلماء في المعتبر من الكفاءة اختلافًا كثيرًا والذي يقوى هو ما ذهب إليه زيد بن علي ومالك ويروى عن عمر وابن مسعود وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز وهو أحد قولي الناصر: أن المعتبر الدين لقوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ) (الحجرات: ١٣)، ولحديث: «النَّاسُ كُلُّهم وَلَدُ آدَم»، وتمامه: «وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» أخرجه ابن سعد من حديث أبي هريرة، وليس فيه لفظ «كُلُّهم». «وَالنَّاسُ كَأَسْنَانِ المشط لا فَضْلَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إلا بالتَّقْوَى» أخرجه ابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ قريب من لفظ حديث سهل بن سعد.

وأشار البخاري إلى نصرة هذا القول حيث قال: باب الأكفاء في الدين وقوله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» (الفرقان:٥٤)؛ فاستنبط من الآية الكريمة المساواة بين بني آدم، ثم أردفه بإنكاح أبي حذيفة من سالم بابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى لامرأة من الأنصار، وقد تقدم حديث: «فعليك بذات الدين» وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال: «الحمدُ لله الذي أذهب عنكم عُبِيَّة-بضم المهملة وكسرها- الجاهلية وتَكَبُّرها يا أيُّها النَّاسُ إنَّما النَّاسُ رَجُلان مُؤْمِنٌ تَقِيٌ كَرِيمٌ على الله وفاجرٌ شقيّ هيِّن على الله»، ثم قرأ الآية وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَكُونَ أكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ الله» فجعل صلى الله عليه وسلم الالتفات إلى الأنساب من عُبية الجاهلية وتكبرها، فكيف يعتبرها المؤمن ويبني عليها حكمًا شرعيًا؟

وفي الحديث: «أربعٌ مِنْ الجاهليَّة لا يتركُها النَّاسُ» ثم ذكر منها «الفَخْرُ بالأنْسَاب» أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس، وفي الأحاديث شيء كثير من ذم الالتفات إلى الترفع بها، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بني بياضة بإنكاح أبي هند الحجام، وقال: «إنَّما هُوَ امْرُؤٌ من المُسْلِمِين»؛ فنبَّه على الوجه المقتضي لمساواتهم وهو الاتفاق في وصف الإسلام وللناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع ولا إله إلا الله، كم حُرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء.

الراجح

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يترجح لديَّ القول الأول القائل بعدم اعتبار الكفاءة في النسب؛ لعدم ورود نص صحيح يدل على اشتراط الكفاءة في النسب، وأن المُعتَبر هو الكفاءة في الدين، والله تعالى أعلم.

الرقة
صفين
الجزيرة

معركة صفين (٣)

وقفة للتأمل

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد، فقد انتهينا في اللقاء السابق من حديثنا حول معركة صفين عند وقف الاقتتال بين المسلمين؛ خشية فناء الأمة وضعفها في مواجهة أعدائها، واستجابة أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه لصوت الحكمة، وكذلك استجابة أهل العراق بقيادة علي رضي الله عنه، وقبوله قضية التحكيم دون شروط مسبقة، والموافقة على الحكَمين اللذين تم اختيارهما؛ أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، كما سبق بيانه، لكنْ الخوارج فاجئوا الجميع بما أقدموا عليه من اغتيال الخليفة الراشد رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونجاة معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما من خطة الخوارج باغتيالهما مع علي رضي الله عنه.

واليوم -بعون الله تعالى- نقف وقفة للتأمل فيما مضى من أحداث، نحاول استخلاص بعض الدروس والعبر؛ عسى الله أن ينفعنا بها في واقعنا المعاصر، ونستشرف من خلالها الحذر من أعداء الأمة الذين يتربصون بها من الداخل والخارج، ونسوقها بعون الله في المحاور التالية:

أولًا: لم ينْجُ من الخلفاء الراشدين غير أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه:

هذه حقيقة مؤكدة: لم ينْجُ من الغيلة والقتل من الخلفاء الأربعة الراشدين غير أبي بكر رضي الله عنه، فهل كان اغتيال الخلفاء الثلاثة حوادث فردية، أم هو مُخطط مُحاك بدقة والأصابع التي خلفه واحدة وهدفها واحد وإن تعددت الشخصيات التي نفّذت مع اختلاف الأمكنة والأزمنة؟ ولكي نصل إلى نتيجة منطقية لا بد من الربط بين الأحداث:

١) بالنسبة لاستشهاد عمر رضي الله عنه: فالذي طعنه في الظاهر هو أبو لؤلؤة المجوسي، فهل كان وحده؟ أم كان خلفه مَن دبّر وخطّط؟

عند العودة إلى هذا الحادث نلاحظ تردد ثلاثة أسماء رآهم عبد الرحمن بن أبي بكر معًا في ظلمة الليل في زاوية من زوايا المدينة ومعهم الخنجر الذي استخدمه المجرم في جريمته يتناجون في ظلمة الليل، وعندما رأوه سقط الخنجر من يد أبي لؤلؤة على الأرض. أما أبو لؤلؤة فهو عبدٌ مجوسيّ كان يعمل بالمدينة حدادًا، وأما جفينة فهو من نصارى عرب الحيرة المعروفين بولائهم لكسرى، وقد قدم نفسه لسعد بن أبي وقاص كمعلم للقراءة والكتابة؛ فبعثه سعد إلى المدينة، واستقر بها مع أبي لؤلؤة، وأما الهرمزان فقد كان حاكم الأحواز أيام كسرى، وكان قائدًا عسكريًا ولم يسجل التاريخ رجلًا أكثر عنادًا ووفاءً لفارس من الهرمزان.

٢) وإذا تأملنا استشهاد عثمان رضي الله عنه نجد أن الذين قتلوه هم من الغوغاء الذين جاءوا من خارج المدينة؛ متأثرين بفتنة عبد الله بن سبأ الملقّب بابن السوداء اليهودي اليمني، والذي أعلن إسلامه وأبطن كفره ونفاقه؛ ليكيد للإسلام والمسلمين.

٣) والذي اغتال عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين هو ابن ملجم الخارجي الذي تأثر أيضًا بفتنة ابن سبأ؛ فابن سبأ هو وراء ظهور الروافض، وكذا الخوارج. فنحن أمام مؤامرة اشترك فيها الفرس والروم واليهود، وكان اليهود يريدون أن يبدّلوا الدين الإسلامي، وأن يحرّفوا القرآن كما حرفوا التوراة والإنجيل من قبل. فلما لم يتمكّنوا من تحريف القرآن؛ لأن الله تولّى حفظه، ولما لم يتمكّنوا من قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم رغم محاولاتهم المتكررة؛ لأن الله عصم نبيه من الناس حتى يبلّغ دعوته؛ فانتقلوا إلى اغتيال رؤوس الدولة الإسلامية حتى يُحدثوا في المجتمع فتنةً واضطرابًا، وكذلك قاموا بنشر العقائد الباطلة التي نتج عنها ظهور الفرق الضالة مثل الروافض والخوارج وغيرها، فمسلسل قتل الخلفاء الراشدين الثلاثة، بل ومقتل الحسين رضي الله عنه هو إحدى حلقات المؤامرة الكبرى للحرب على الإسلام والمسلمين، وما زالت المؤامرة قائمة؛ فعلى المسلمين أن يتيقظوا لما يُحاك لدينهم في الخارج والداخل «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف: ٢١).

ثانيًا: قتال أهل البغي وأحكامه:

وقد استخلص العلماء أحكام قتال أهل البغي من سورة الحجرات الآية (٩): «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...» قال ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية: المسألة الرابعة:

(هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وإياها لجأ الأعيان من أهل الملة وإياها عنى النبي بقوله: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» (جزء من حديث رواه مسلم).

وقوله في شأن الخوارج: («يخرجون على خير فِرْقة» أو «على حين فُرْقة من الناس»، والرواية الأولى أصح بقوله صلى الله عليه وسلم: «تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»، وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب ومن معه فتقرر عند علماء المسلمين، وثبت بدليل الدين أن عليًا رضي الله عنه كان إمامًا، وأن كل من خرج عليه باغٍ، وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق، وينقاد إلى الصلح).اهـ. مختصرًا.

وقد نقل الإمام القرطبي في تفسير الآية السالفة الذكر من سورة الحجرات الآية (٩) اجتهاد بعض أهل العلم بأن من حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لأحكام قتال أهل التأويل بلسان الحال؛ إذ كانت أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله.

وقال في المسألة السابعة من شرح الآية: إذا خرجت على الإمام العدل خارجة باغية ولا حُجة لها، قاتلهم الإمام بالمسلمين كافة، أو بمن فيه كفاية، ويدعوهم قبل ذلك إلى الطاعة والدخول في الجماعة. فإن أبوا الرجوع إلى الصلح قوتلوا، ولا يُقتل أسيرهم ولا يُتتبع مدبرهم، ولا يُجْهَزْ عليه، ولا يُذَفف على جريحهم، ولا تُسْبى ذراريهم ولا تُؤخذ أموالهم. اهـ.

ثالثًا: المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

١) كيف تعامل عليّ رضي الله عنه مع أمّنا عائشة رضي الله عنها بعد انتهاء حرب الجمل
التي لم يكن للصحابة فيها ناقة ولا جمل، بل كانت من تدبير الغوغاء: قتلة عثمان رضي الله عنه؛ حيث خافوا على أنفسهم عندما رأوا الصلح بين عليّ رضي الله عنه وبين طلحة والزبير وعائشة؛ فتآمر القتلة ودبّروا فتنة كان ضحيتها كبار الصحابة، ومنهم طلحة والزبير رضي الله عنهما. المهم أن عائشة رضي الله عنها كانت في هودجها بعد انتهاء الحرب، فأكرمها عليّ رضي الله عنه إكرامًا يناسب مكانتها؛ فجهّزها بكل ما يمكن تجهيزه من متاع ومراكب وصحبة.

ونقل الطبري في تاريخه (٥/٥٨١): أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جهّز عائشة رضي الله عنها بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا مَن أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهّز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلّغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودّعوها وودّعتهم، وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.

وقال عليّ: يا أيها الناس، صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيّعها عليّ أميالًا، وسرّح بنيه معها يومًا. ولعل في ذلك عبرة للروافض الحاقدين.

٢) من عجائب معركة صفين:

يذكر المؤرخون ومنهم الإمام الطبري في الجزء الخامس: أن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين؛ فكانت من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدّق ما يقرأ، ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهرًا سيفه مؤمنًا بقضيته إيمانًا كاملًا، فليست معركة مدفوعة من القيادة؛ حيث يدفع القادة الجنود إلى معارك غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بدايتها وفي طريقة أدائها، وفيما خلّفته من آثار؛ فهم في ساحة النزال يتقاتلون، وعند الاستراحة من القتال إخوة يدخل هؤلاء في معسكر هؤلاء، ويتحدث بعضهم إلى بعض، ويذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جميعًا ويزدحمون على الماء، وما يؤذي أحدهم الآخر، وإذا مات منهم أحد صلوا عليه جميعًا، كما فعلوا مع عمار بن ياسر رضي الله عنه عندما استشهد.

٣) معاملة الأسرى:

وكانت تتلخص معاملة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأسير في أربعة أمور:

أولها: إكرام الأسير والإحسان إليه.

الثاني: يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة؛ فإن بايع أخلى سبيله.

الثالث: إن أبى البيعة أخذ سلاحه، ويحلّفه ألا

يعود للقتال ويطلق سراحه.

الرابع: إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبرًا.

والمقتول صبرًا هو كل مقتول بعيدًا عن ساحة القتال بأيّ وسيلة قتل. ويقول محبّ الدين الخطيب في تعليقه على «العواصم من القواصم»: "ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هي حرب الإنسانية الأولى في التاريخ الذي جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتُعلَم وتدوَّن لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة، وقد نقل صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» عن أبي حنيفة رحمه الله قوله: «لولا ما سار عليّ رضي الله عنه فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين -أي: بغاة المسلمين-".

رابعًا: من القواعد الفقهية التي أصّلها عليّ رضي الله عنه في قتال البغاة:

١) أن يُقصد بالقتال مع البغاة ردعهم ولا يتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردّهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يتعمد قتل المشركين والمرتدين.

٢) إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعًا حكم الرجل البالغ الحرّ يُقاتلون مقبلين ويُتركون مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الكفر والردة مقبلين ومدبرين.

٣) إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة؛ وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر؛ فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم.

وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه وكذا أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: "لا تتبعوا مدبرين، ولا تُجهِزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمنٌ"، وفي مصنف عبد الرزاق أن عليًّا أمر مناديه يوم البصرة فنادى: "لا يُتْبَع مدبر، ولا يُذفف على جريح، ولا يُقتل أسيرٌ، ومَن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمنٌ، ولا يُؤخذ من متاعهم شيءٌ".

ونقل صاحب "تحقيق مواقف الصحابة" نهي علي رضي الله عنه وتحذيره من إيذاء النساء بقوله: "وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم""، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: "شهدت صفين، وكانوا لا يُجهزون على جريح ولا يقتلون مُوَليًا، ولا يسلبون قتيلا". [المستدرك بسند صحيح.

٤) لا يُستعان في قتالهم بمشرك أو معاهد ولا ذميّ، وإن جاز أن يُستعان بهم على قتال أهل الردة.

٥) إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإذا ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بيّنها؛ كما بيّن عليّ رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثيرٌ منهم إلى صف الجماعة، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم.

٦) إذا لم يخرجوا عن طاعة الإمام، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفرادًا تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم؛ تُركوا ولم يُحارَبوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود.

٧) لا يُقاتل البغاة بما يعمّ إتلافه كالنار والمنجنيق، ولا تُحرق عليهم المساكن ولا يُقطع عليهم النخل والأشجار.

٨) لا يجوز غنيمة أموالهم، ولا سبي ذراريهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه». [رواه الدارقطني وصححه الألباني.

٩) مَن قُتل من البغاة غُسل وكُفن وصُلي عليه؛ لأنهم مسلمون.

١٠) إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، وإن تمكّن الإمام من دفعهم بغير قتال فهو خير.

هذا ما تيسر إيراده، وقد أسهبنا بعض الشيء في هذه القواعد؛ لحاجة الأمة إليها، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاعتناء بالأبناء من هدي الأنبياء

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن نِعَم الله عز وجل لا تُحصَى، وعطاياه لا تُعَدّ، ومن تلك النعم العظيمة وأجلّها: نعمة الأبناء؛ قال الله تعالى: « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ **» (النحل: ٧٢).**

والأبناء زينة الحياة، قال الله تعالى: « ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا **» (الكهف: ٤٦)، وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بصلاحها، وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسئولية، يسأل عنها الوالدان يوم القيامة، أحفظا أم ضيعا؟**

إعداد: **عبده أحمد الأقرع**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته». (متفق عليه).

مع هذا الإنذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهان كثيرٌ من الآباء بهذه المسؤولية، فأضاعوا أولادهم ونسوهم كأن لا مسؤولية لهم عليهم، لا يَسألون أين ذهبوا ولا متى جاؤوا، ولا مَن أصدقاؤهم وأصحابهم، ولا يوجهونهم إلى خير ولا ينهونهم عن شر.

ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها، والسهر على ما يُصلحها، مع أن المحافظة على الأولاد فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد أولى وأنفع في الدنيا والآخرة؛ لأن الأولاد بدونٍ تربية لا قيمة لهم، بل همِ بدون تربية مصيبةٌ كبرى على الوالدين خاصةً وعلى المجتمع كله، ولذا لما قتل الخضر الغلام واندهش نبي الله موسى عليه السلام من هذا قائلاً: « أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا » (الكهف: ٧٤). فأجابه الخضر عليه السلام:

«وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا» (الكهف: ٨٠)، أي: وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه، أنه لو بلغ، لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إمَّا لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك، فقتلته، لاطلاعي على ذلك؛ سلامةً لدين أبويه المؤمنين، وأيّ فائدة أعظم من هذه الفائدة العظيمة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية، ما هو خير منه، ولهذا قال: «فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا» (الكهف: ٨١)، أي: ولدًا صالحًا، زكيًا، واصلًا لرحمه.

فعلى الآباء أن يقوموا بتربية أولادهم وتوجيههم وإرشادهم ومراقبتهم، فكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب، وكسوة بدنه باللباس، كذلك يجب عليه أن يُغذّي قلبه بالعلم والإيمان، ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير زاد.

رحم الله ابن القيم حيث قال: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى: فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه: فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا" (تحفة المودود ١/٢٢٩).

ويزداد الاهتمام بهم لا سيما في الوقت الذي تكثر فيه الفتن، وتشتد فيه المنكرات، فإن المسؤولية تُحتّم عليهم الرقابة أكثر مما إذا خفّت الفتن وقلّت المنكرات، ألسنا في أموالنا إذا كثرت السرقة، وكثرت الخيانة نتحفظ فيها أكثر ونطلب لها المكان الأحرز؟ فكذلك يجب علينا في أولادنا، بل ملاحظة أولادنا أوجب علينا من ملاحظة المال؛ لما في إهمالهم من الخطر علينا وعلى أنفسهم وعلى الأجيال المقبلة كلها.

إن أولادنا-وليس أموالنا- هم الذين يصحبوننا في الجنة-إن شاء الله تعالى- إذا اتبعونا في الإيمان، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ» (الطور: ٢١)، ومما لا ريب فيه أنَّ كل واحد من الناس لا يرضى أن يكون منعمًا في الجنة وأولاده معذبين في النار، إننا نجزم أن الشخص لو رأى النار في الدنيا تأكل ولده لسعى بكل ما يستطيع في دفعها عنه حتى ولو على حساب نفسه، أما نار الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلذة كبده وريحانة قلبه ابنته فاطمة رضي الله عنها: «يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك من الله شيئًا» (مسلم: ٢٠٤).

فكيف بغير النبي صلى الله عليه وسلم؟ أفلا يعقل كل أب، ويقيس كيف يرى ولده يسعى في المعاصي التي هي أسباب دخول النار، ثم لا يبالي بذلك، ويزعم أنه يحبُّه! لو كان محبًا حقًا لعمل على وقاية ولده من نار وقودها الناس والحجارة قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ» (التحريم: ٦).

فالأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله تعالى في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدها. إنَّ أول لبنة في بناء الشباب لبنة العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصدق التعلق بالله وحده والاعتماد عليه. هذا هو الكنز الذي يجب على الوالد أن يدّخره لبنيه قبل الممات، شأنه في ذلك شأن الأنبياء.

فهذا أول رسول لأهل الأرض نبيّ الله نوح عليه السلام بلغ من عنايته بفلذة كبده أنه مازال يدعو ابنه، ويستعطفه ليركب معه في السفينة؛ سفينة النجاة: «يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ» (هود: ٤٢)، ولكن ذلك الابن استمر على عصيانه، وقال: «سآوي إلى جبل يعصمني من الماء» (هود: ٤٣)، ومع هذا ما تركه، بل مازال يدعوه ويتلطف إليه لعله يستجيب، قال له: «قال لا عاصمَ اليوْمَ منْ أمْر اللـه إلا منْ رحمَ» (هود: ٤٣)، وما زال معه حتى فرّق الطوفان بينهما: «وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ» (هود: ٤٣)، إنها لحظة الفراق القاسي، ويأتي سؤال استعلام من نوح عليه السلام، عن حال ولده الذي غرق: «وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ» (هود: ٤٥)، والمعنى: أي: يا رب: قد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يُخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ويأتي الجواب من الله سبحانه: «قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ » (هود: ٤٦).

وقوله سبحانه: « إنَّهُ لَيْسَ منْ أهْلك »: معناه: إنه ليس من أهلك الذين وعدت بإنجائهم، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال سبحانه: « وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ » (هود: ٤٠)، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحًا عليه السلام.

وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من حرصه على ذريته أنه دعا الله عز وجل أن يهب ذريته ما وهبه الله إليه، لما قال الله له: « إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى » (البقرة: ١٢٤)، بل بلغ من حرصه على ذريته أنه دعا ربه: « رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ » (البقرة: ١٢٨)، « رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ » (إبراهيم: ٣٥)، وهذا من أعظم الحبّ والبرّ ببنيه، حيث دعا ربه أن يحفظ ذريته من الكفر به، وعبادة الأصنام.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: « من يأمن البلاء على نفسه بعد الخليل عليه السلام؟ ».

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام: كان حريصًا على ذريته، فعندما أخبره يوسف عليه السلام برؤياه، قال له: « يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ » (يوسف: ٥)، يخشى عليه السلام أن تتفرق الأسرة.

ولما أرادوا الرجوع إلى مصر مرة أخرى، أوصاهم عليه السلام، فقال: « وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ » (يوسف: ٦٧).

ذكر بعض المفسرين أنه خشي عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا جميعًا من باب واحد، وهذا من عنايته عليه السلام ببنيه.

ومن حرصه عليه السلام أيضًا أنه لما جمع الله شملهم-بعدما فعلوا بيوسف وأخيه ما فعلوا- لم يُثرب عليهم يعقوب عليه السلام، بل بلغ من عظيم حرصه عليه السلام على ذريته أنه ما زال يوصيهم ويربيهم على الخير إلى خروج الروح: قال الله تعالى: « أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ » (البقرة: ١٣٣)، فانظروا قوله: « إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتَ » أي: وهو على فراش الموت، يُوصي بنيه بأهم ما عنده: أن يكون الأبناء على توحيد الله، وعلى إيمان بالله عز وجل، فلما سألهم وأجابوه بأنهم لازمون للحق-وهو عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به- اطمأن قلبه عليه السلام، ومات قرير العين.

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام من بالغ عنايته بذريته أنه دعا ربه أن يطيب أمر ذريته قبل خلقها: « قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ » (آل عمران: ٣٨). وقال الله تعالى: « ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ② إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » (مريم: ٢-٦)، وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، أي: ولدًا صالحًا ترضاه، وتحببه إلى عبادك، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد.

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على ذريته: لما أكل الحسن تمرة من تمر الصدقة، وأدخلها في فيه، قال له صلى الله عليه وسلم: « كخ كخ، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟ » (متفق عليه)، ولما أرسلت إليه إحدى بناته رضي الله عنهن لما مرض ولدٌ لها صغير، ليأتيها صلى الله عليه وسلم، فاعتذر صلى الله عليه وسلم: فأرسلت إليه- تقسم عليه- ليأتينَّها، فقام صلى الله عليه وسلم ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، فأقعده في حجره ونفسه تقعقع، ففاضت عيناه، فقال سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده » (متفق عليه).

ومن اهتمامه صلى الله عليه وسلم بذريته: أنه لما جاءته ابنته فاطمة رضي الله عنها تسأله خادمًا، فلم تلقه صلى الله عليه وسلم، فأخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك، ثم أخبرت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم بذلك، فجاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت عليّ وفاطمة رضي الله عنهما، ودخل عليهما، فقال لهما صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكما على خير لكما من خادم؟ تُكبِّران الله عند النوم أربعًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، وتسبِّحان ثلاثًا وثلاثين، فذلكما خيرٌ لكما من خادم» (متفق عليه).

الشاهد: مجيئه صلى الله عليه وسلم من بيته إلى بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، وهذا دليل على عظيم عنايته صلى الله عليه وسلم بذريته.

فعليك أيها الوالد الحبيب بالتأسي بالأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين بالدعاء لأولادك بالهداية والصلاح. فكم من دعوة اهتدى بسببها ضال، وكم من دعوة صالحة اختصرت مسافات التربية!، واحذر أيها الوالد المفضال أن تدعو على أبنائك، فقد توافق دعوتك وقتًا يُستجاب فيه الدعاء، فتستجاب دعوتك على ولدك فتجني أنت عاقبتها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم» (مختصر مسلم ١٥٣٧).

ومن الأسباب التي يحفظ الله بها الأبناء: صلاح الوالدين:

لصلاح الوالدين عظيم الأثر في صلاح الأبناء، قد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما حدث مع نبي الله موسى والخضر عليهما السلام.

قال الله تعالى: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا» (الكهف: ٨٢).

فانظر أيها الوالد الحبيب: كيف حفظ الله سبحانه وتعالى أموال الأيتام بصلاح الآباء؟

وكان سعيد بن المسيب رحمه الله: يقول لابنه: "لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك؛ رجاء أن أُحفَظ فيك، ثم تلا هذه الآية: «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا»".

وقال ابن المنكدر: "إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ الله وستره". فالولد الصالح ينفع الله به والديه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» (صَحيح مُسلم: ٦١٣١). وهو ينتفعَ بصلاح والديه.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ» (الطور: ٢١).

فهؤلاء المذكورون يُلحقُهم الله بمنازل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها جزاءَ لآبائهم، وزيادةً في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئًا.

واعلم أيها الوالد العطوف المُحبّ لبنيه أن الله تعالى لن يجمع معك في الجنة إن كنت من أهلها- بإذن الله- إلا مَن صلح من بنيك.

قال الله تعالى: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» (الرعد: ٢٣، ٢٤)، ولن ينتفع بدعاء ملائكة السماء حملة العرش إلا من صلح منهم.

قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (غافر: ٧-٩)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسُ محمّد بيده، ما من عبد يُؤمنُ، ثمّ يُسدِّدُ إلا سُلك به في الجنّة، وأرجو ألا يدخلوها حتى تبوّءوا أنتم ومن صلح من ذريّاتكم مساكنَ في الجنّة، ولقد وعدني ربّي عزّ وجلّ أن يدخُل الجنّة من أمّتي سبعين ألفًا بغير حساب» (صحيح الجامع ٧٠٦٢).

«رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان: ٧٤).

القرآن تدبُّر ومنهج

«قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ» (المائدة: ١٠٠)

إعداد **د. عادل عزازي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن الله تعالى أمرنا بتدبر آياته فقال تعالى: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ » (محمد: ٢٤)، وقال تعالى: « كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ » (ص: ٢٩).

وقد بيّن القرآن للمؤمن مناهج السعادة في دنياه وآخرته بما لا يمكن أن يتحقَق في غيره، فهو كتاب مجيد، والمجد: السؤدد والشرف والرفعة والعلو كما قال تعالى: « إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ » (الإسراء: ٩).

ومن خلال التدبر لكتاب الله عزوجل يمكن للمؤمن أن يقف على هذه المناهج الرفيعة سواء من أوامره ونواهيه، أو من أحكامه وشرائعه، أو من قصصه ومواعظه.

وسوف أذكر بعض هذه المناهج حسب ما ييسر الله عز وجل ويوفق.

فمن ذلك قوله تعالى: « قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ » (المائدة: ١٠٠).

فهذا المنهج والميزان الذي جعله الله للمؤمن لتستقيم به حياته، وتعتدل به تصوراته واتجاهاته، وتسعد به أيامه في طمأنينة ورضا.

فقد اشتملت الآية على عدة تنبيهات بها ميزان استقامة الحياة والفوز بالسعادة في الدارين.

التوجيه الأول: أن الطيّب والخبيث لا يستويان أبدًا: وهي قاعدة عامة في جميع المجالات؛ عقدية أو تشريعية أو أخلاقية.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن ذكر أقوال المفسرين: "والصحيح أن اللفظ عامّ في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة، وإن كثر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة. قال الله تعالى: «وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ » (الأعراف: ٥٨).

[تفسير القرطبي: ٦/٣٢٨.

والآية ليس المقصود منها مجرد الخبر بأن الطيب والخبيث لا يستويان فحسب، بل هي توجيه ومنهج للمؤمن لأن يختار الطيب على الخبيث، قال ابن عاشور: "ولما كان من المعلوم أن الخبيث لا يساوي الطيب، وأن البوْن بينهما بعيد، علم السامع من

هذا أن المقصود استنزال فهمه إلى تمييز الخبيث من الطيب في كل ما يلتبس فيه أحدهما بالآخر" [التحرير والتنوير: ٦٣/٧].

وورد في آيات أخرى عناية الله بنا في تشريعه وأحكامه، وأنها شريعة تعاطي الطيبات وترك الخبائث فقال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (الأعراف: ١٥٦- ١٥٧).

فالطيب عند الله محبوب دائمًا، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا يستوي الحلال والحرام، ولا يستوي حُسن الخُلق وسوء الخُلق، ولا أي شيء طيب بشيء خبيث.

قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ» (إبراهيم: ٢٤-٢٦).

والكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك والكفر -والعياذ بالله-.

عن ابن عباس في قوله: «مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً» شهادة أن لا إله إلا الله، «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ» وهو المؤمن، «أَصْلُهَا ثَابِتٌ» يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، «وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء. (تفسير ابن كثير: ٤٩١/٤).

فالطيب محبوب عند الله يرفع إليه قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (فاطر: ١٠)؛ ومآل الطيب وعاقبته دائمًا إلى خير؛ فالخبيث لا يساوي الطيب مقدارًا ولا إنفاقًا، ولا مكانًا ولا ذهابًا، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار.

فيتميز الطيب من الناس في سكرات الموت ويوم القيامة: فالمؤمن وهو في سكرات الموت يسمع خطاب ملك الموت لقبض روحه فيقول: «أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب! اخرجي إلى روح وريحان وربٍّ راضٍ غير غضبان». فهل يستوي هذا مع النفس الخبيثة التي ينادي عليها ملك الموت لقبض الروح فيقول: «أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي إلى سخط من الله وغضب»؟ لا يستوون.

قال تعالى: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ» (السجدة: ١٨).

وكما أنهم لا يستوون في الدنيا فهم لا يستوون في الآخرة؛ فإن الله جعل الجنة للطيبين «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (النحل: ٣٢).

فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ولا يجاوره في جنته إلا الطيبون، ولا يصعد إليه إلا الطيب من القول والعمل، وتثني عليهم الملائكة وهي تسلم عليهم «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» (الزمر: ٧٣).

فالواجب على المؤمن أن يكون مجاهدًا لنفسه مستمسكًا بالطيبات من الأقوال والأعمال والصفات، تاركًا وكارهًا كل خبيث؛ ففي الطيبات فلاحه، وفي الخبائث هلاكه.

التوجيه الثاني من الآية عدم الاغترار بكثرة الخبيث:

وهذا التوجيه تصحيح لأخطاء يقع فيها كثير من الناس؛ حيث يقيسون الأمور بميزان الكثرة، وهو ما ينبغي أن يتجنَّبه المؤمن؛ فالميزان هو ميزان الحق، ولو كان أتباعه قلة، ومهما كثر أتباع الباطل فلا تكون كثرتهم دليلا لصحة ما هم عليه، كما أنه لا يحمله كثرة المكاسب المحرمة أن يختارها على المكاسب الحلال.

فلا يغترّ المؤمن بكثرة الهلكى خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الخبائث في مجالات متعددة.

ففي مجال التوحيد كثر المنحرفون عن التوحيد الخالص من المتصوفة والقبوريين، والروافض

الشيعة الذين يعبدون القبور ويذبحون وينذرون لها.

وفي مجال الأخلاق والسلوك فآفات وطامات لا يعلمها إلا الله من نشر الرذائل والفجور والأقوال القبيحة، وشرب الخمور، والعلاقات المحرمة، والشذوذ، وسوء الأخلاق في معاملة الآباء والأمهات وسوء العشرة بين الأزواج.

وفي مجال المكاسب، فقد كثر أكل المال الحرام من التعاملات الربوية، كما كثرت الرشاوي حتى لا تكاد ترى مصلحة إلا بالرشاوي، كما كثر الغش في المنتجات والبضائع، وكثر أكل الميراث وضاع حقوق كثير من الناس بالأيمان الفاجرة الكاذبة وشهادة الزور.

فعلى المؤمن أن يربأ بنفسه أن يكون مشاركا أو راضيًا بهذه المكاسب، وأن يرضى بالطيب ولو كان قليلًا عن الخبيث ولو كان كثيرًا، فإن فيه البركة والخير والعاقبة المحمودة كما قال شعيب لقومه: «بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (هود: ٨٦).

ولذا وجب على المؤمن أن يُلزم نفسه بشرع الله عز وجل ولا يغترَ بكثرة الهلكى، ولا تطمح عينه إلى أكل المال الحرام.

التوجيه الثالث: الأمر بتقوى الله:

«فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة: ١٠٠).

وهو توجيه مهم في معركة الاختيار مع دوافع النفس وسطوة الخبيث لكثرته، فربما سمح الإنسان لنفسه بأن يقترف بعض الخبيث متجاهلا أو متغافلا لينال بعض غرضه، خاصة إذا كان يلجئه لذلك دوافع النفس، وشدة الحاجة والمسؤولية، فيترخص في أكل الخبيث، وقد يتعلل على ذلك بفتوى شاذة زيّنت له أكل الباطل، أو ادعاء الضرورة، أو التباس واشتباه فلا يكلف نفسه البحث والتحري، أو غير ذلك ليبيح لنفسه أكل الحرام، فكان التوجيه من الله عز وجل بالأمر بالتقوى، فهي أكبر عامل على مراقبة الله عز وجل.

فقوله: «فاتّقوا الله يا أُولي الألباب» مؤذن بأن الله يريد منا إعمال النظر في تمييز الخبيث من الطيب، والبحث عن الحقائق، وعدم الاغترار بالمظاهر الخلابة الكاذبة، فإن الأمر بالتقوى يستلزم الأمر بالنظر في تمييز الأفعال حتى يعرف ما هو تقوى دون غيره. (التحرير والتنوير: ٧/ ٦٤).

وختم الآية بأن من حقق ما ذكر في الآية نال الفلاح، فعلى المؤمن أن يرقى بنفسه ويتبع الحق الطيب ويترك الباطل الخبيث.

وأختم مقالتي هذه بهذه الملاحظات:

أولًا: العبد لا ينال إلا ما كتبه الله له؛ فعليه أن يطلبه من طريق حلال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ رُوح القُدُس نفث في رُوعي أنّه لن يَموتَ عَبدٌ حتى يَستكمل رزقَه، فأجملوا في الطلب، ولا يَحملنَّكم استبطاءُ الرِّزقِ على أنْ تَطلبوا شيئًا من فضل الله بمعصيته؛ فإنّه لا يُنالُ ما عند الله إلا بطاعته». (رواه البزار وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح).

ثانيًا: اعلم رحمك الله أن أكل الحرام مانع من قبول الدعاء كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (المؤمنون: ٥١)، وقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ» (البقرة: ١٧٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟».

ثالثا: في الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف. وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة.

والعاقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له يختار الطيب على الخبيث؛ فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الشرك من أهم أسباب هلاك الأمم السابقة

قال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ

(النحل/٣٦)

المحبة الواجبة للنبي صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعينَ". [صحيح البخاري ١٥ وصحيح مسلم: ٤٤].

من دلائل النبوة

إخباره عن فتح مصر

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وهي أرْضٌ يُسَمَّى فيها القِيراطُ، فإذا فَتَحْتُمُوها فأحْسِنُوا إلى أهْلِها، فإنَّ لهمْ ذِمَّةً ورَحِمًا، أوْ قالَ ذِمَّةً وصِهْرًا، فإذا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمانِ فيها في مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فاخْرُجْ مِنْها"(صحيح مسلم ٢٥٤٣).

حكم ومواعظ

عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال: "دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه فقلت: أوصني. فقال: اعمل لهذا المضجع " (المحتضرين لابن أبي الدنيا).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية:

فيا عجبًا! كيف يُعصى الإلهُ .. أم كيف يجحدُهُ الجاحدُ؟
ولله في كل تحريكة .. علينا وتسكينة شاهدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ .. تدلُّ على أنَّه واحدُ

إعداد : علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا، وكان لا يأتيه أحدٌ إلا وعدَهُ، وأنجزَ لهُ إنْ كان عندهُ"(السلسلة الصحيحة ٢٠٩٤).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إن الله خلق آدم من طينة الجابية، وعجنه بماء من ماء الجنة). موضوع، أخرجه ابن عدي في "الكامل"، والصحيح أن رسول الله أنه قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض" (السلسلة الضعيفة للألباني)

من معاني الأحاديث

قال صلى الله عليه وسلم: "إن التجار يبعثون يوم القيامة فجَّارًا إلا مَن اتقى الله وبَرَّ وصدق"؛ سمَّاهم فجارًا لما في البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أكثرهم، ولا يفطنون له، ولهذا قال في تمامه: "إلا مَن اتقى الله وبَرَّ وصدق".

(النهاية لابن الأثير)

من جوامع الأدعية

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم، كانَ يقولُ: "اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنتُ، وَعليْكَ تَوكَّلتُ، وإليْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بعِزَّتِكَ، لا إلَهَ إلا أَنتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ". (صحيح مسلم ٢٧١٧).

من فضائل الصحابة: كانوا قدوة لمن بعدهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أرحمُ أمَّتي بأمَّتي: أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ الله: عمرُ، وأصدقُهم حياءً: عثمانُ، وأقرؤهم لكتابِ الله: أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وأفرضُهم: زيدُ بنُ ثابتٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ: معاذُ بنُ جبلٍ، ألا وإنَّ لكلِّ أمةٍ أمينًا، وإنَّ أمينَ هذه الأمةِ: أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ" (سنن الترمذي ٣٧٩١).

دراسات
شرعية

أثر السياق في فهم النص

(١٢٨)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٨)

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، وبدأت في أدلة السنة، ووصلت إلى الحديث الثاني عشر، وهو حديث أمّنا عائشة رضي الله عنها، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسماء: "يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

ورأينا من القرائن حول الحديث، وجود خمس علل في إسناده. وأن الكثير من أهل العلم على تضعيفه، وهناك مَن قوّى الحديث بطرقه كالألباني والبيهقي الذي ضعّف إسناده، ثم قوّاه بمراسيل الصحابة، وقال البيهقي عن حديث أمّنا عائشة رضي الله عنها: فصار القول بذلك قويًا، ووافقه الذهبي في تهذيب سنن البيهقي، وذكر ابن كثير نقولاً عن الصحابة في "إلا ما ظهر منها" الوجه والكفين، فقال: وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويُستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه وعلق عليه ونقل كلام أبي داود وأبي حاتم الرازي من أن الحديث مرسل (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٥٨-٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣١٩، تفسير ابن كثير ٦/٤٥-٤٦).

هناك ثلاث مسائل في حديث عائشة رضي الله عنها أُشير إليها سريعًا لأهميتها.

المسألة الأولى: هل يتقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه؟

هذه المسألة في غاية الأهمية، فليست كل الطرق تقوي الحديث الضعيف؛ فالطرق شديدة الضعف وإن تعدّدت فلا يتقوى بها الحديث، وإنما يتقوّى الحديث بالطرق التي فيها ضعف يسير. يقول الشيخ أحمد شاكر: "إن الحديث إن كان ضعيفًا؛ لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع فإنه لا يرقى إلى الحسَن، بل يزداد ضعفًا إلى ضعف". ويقول الشيخ الألباني عن تقوية الحديث بطرق متعددة: "ولكن هذا ليس على إطلاقه، بل هو

مقيد عند المحققين منهم بما إذا كان ضعف رواته في مختلف طرقه ناشئا من سوء حفظهم، لا من تهمة في صدقهم، أو دينهم، وإلا فإنه لا يتقوى مهما كثرت طرقه، وهذا ما نقله المحقق المناوي في (فيض القدير) عن العلماء (انظر شرح ألفية الحديث أحمد شاكر صـ١٦، تمام المنة للألباني ص ٣١-٣٢).

المسألة الثانية: هل حديث أمنا عائشة رضي الله عنها -الذي نحن بصدده- من النوع الذي يتقوى بكثرة طرقة وشواهده، أم لا يتقوى؟

حديث أبي داود في سنده خمس علل -كما سبق- فلا يستدل به، وحديث البيهقي، قال عنه بعد إخراجه له: إسناده ضعيف والهيثمي قال في المجمع رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لهيعة. وقال الألباني: "وعلته ابن لهيعة.. والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا منها. قلت: والبحث في ابن لهيعة يطول (انظر تفصيل القول فيه في كتابي معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث ١٩٩-٢٢٢). وخلاصته أن حديثه لا يُطرح بالكلية، ويُنظر إلى من سمع منه ابن لهيعة.

- أثر قتادة (أخرجه أبو داود في المراسيل ح ٤٣٧، وسنده إلى قتادة صحيح لكنه مرسل.

المسألة الثالثة: هل يُحتج بالحديث المرسل؟

هذه أيضا من المسائل الطويلة في المصطلح وفي أصول الفقه، وقد احتج به بعض أهل العلم بشروط وضوابط وطرحه الآخرون. ومراسيل قتادة ضعيفة عند أهل العلم. قال الألباني: عدم الاحتجاج بمرسل قتادة ليس موضع خلاف، وإنما هل يتقوى بالمسند الضعيف أم لا؟ هذا هو الموضوع، فنحن نرى تبعًا للبيهقي وغيره أنه يتقوى. فنحن لم نحتجّ بمرسل قتادة، وإنما به وبما انضم إليه من الشواهد (انظر الرد المفحم: ١/٨٥- ٩٢).

المسألة الرابعة: هل دخل النسخ على حديث أمّنا عائشة رضي الله عنها؟

أورد العلماء مسألة أخرى على حديث أُمّنا عائشة وشواهده، أن هذا الحديث إن صح - فهو من قبيل المنسوخ (انظر ثلاث رسائل في الحجاب لابن عثيمين ص ٤٥، الصارم المشهور ص ١١٥ للتويجري).

وهذه مسألة أخرى طويلة، والأصل عدم النسخ حتى يأتي الدليل، فالنسخ لا يُقال بالرأي أو الاستدلال فقط. (انظر كتابي: قرائن السياق وأثرها على الأحكام الفقهية ص٤٧٢-٤٨٠).

الحديث الثالث عشر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد: فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأني أنظر إليه حين يجلّس الرجال بيده، ثم أقبل يشقّهم، حتى أتى النساء مع بلال...... ثم تلا آيات المبايعة.... ثم قال حين فرغ (من الآية): أنتن على ذلك؟ فقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي (الحسن بن مسلم أحد رواة الحديث)، قال: فتصدقن، وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ (الخواتيم العظام، وقد تلبس في أصابع الرجلين) والخواتيم في ثوب بلال (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري: ".. فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفن..".

وفي رواية للحديث عند مسلم عن جابر رضي الله عنه: "..فقامت امرأة من سطة النساء (من أوساطهن حسبًا ونسبًا) سفعاء الخدين (فيها تغيُّر وسواد)، فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة (الشكوى).

القرائن حول الحديث:

١- قول ابن عباس رضي الله عنهما: فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه.. فهل كن كاشفات الأيادي. كما قال ابن حزم: فهذا ابن عباس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أيديهن، فصح أن اليد من المرأة والوجه ليسا بعورة، وما عداهما ففرض عليها ستره (انظر المحلى ٢٤٨/٢).

ويرد على قول ابن حزم أن قول ابن عباس يهوين بأيديهن، لا يلزم منه أنهن كاشفات الأيادي، فارتداء القفازين لا يمنع من إطلاق اليدين عليهما. ومن ناحية أخرى فإنه يتسامح في اليدين عند المناولة وإمساك الأشياء ما لا يتسامح في الوجه. أو كن يكشفن أيديهن للضرورة لينزعن

الخواتيم من أصابعهن.

٢- قول جابر رضي الله عنه: "فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين". يدل وصف جابر رضي الله عنه للمرأة على أنها كانت مكشوفة الوجه، وإلا لما استطاع أن يصف خديها، وهذا استدل به الألباني على جواز إظهار الوجه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرّها على كشف وجهها أمام الرجال (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٧٦).

وأجيب عن وصف جابر رضي الله عنه للمرأة باحتمالات:

١- أن تكون هذه المرأة من القواعد من النساء، فيجوز لها كشف وجهها.

٢- أن تكون هذه الواقعة قبل نزول آية الحجاب، على اعتبار أن صلاة العيد شُرعت في السنة الثانية من الهجرة، وآية الحجاب في سورة الأحزاب التي كانت في سنة خمس أو ست من الهجرة (انظر قول ابن عثيمين والسندي في ثلاث رسائل للحجاب ص٤٧، ص٩٣).

٣- أن المرأة كانت تغطي وجهها وانحسر الغطاء عن وجهها بغير قصد منها.

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرها.

٥- تفرد جابر رضي الله عنه بوصف وجه المرأة دون من روى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رواها ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم (انظر قول التويجري في الصارم المشهور ص ١١٧-١١٨).

٦- صغر سنّ ابن عباس وبلال كان عبدًا رضي الله عنهما، فلا حرج عليهما في رؤية وجه المرأة.

ويرد على هذه الاحتمالات:

١- إثبات أن هذه المرأة من القواعد من النساء، فمن هي هذه المرأة؟ يقول الحافظ ابن حجر أنه لم يقف على اسمها، لكنه يختلج في خاطره أنها أسماء بنت يزيد بن السكن (خطيبة النساء)، ورجح ذلك بأن أسماء روت أصل هذه القصة في حديث أخرجه البيهقي والطبراني وغيرهما، وأيضًا بما أخرجه الطبراني عن أم سلمة الأنصارية أن أسماء كانت في النسوة اللاتي أخذ عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ.... (انظر فتح الباري ٢/٤٦٨).

قلت: فإن كانت هي أسماء بنت يزيد –على ما ذكره الحافظ ابن حجر–: فهي لم تكن وقتها من القواعد من النساء، فلقد شهدت موقعة اليرموك وقتلت فيها تسعة من الروم، وعاشت بعد ذلك دهرًا (انظر الإصابة لابن حجر ٨/٢١-٢٢)، وإن لم تكن المرأة هي أسماء فيبقى القول بأنها من القواعد مجرد احتمال غير ثابت.

٢- وقوع هذه القصة قبل نزول آيات الحجاب: وهذا يحتاج إلى معرفة تاريخ خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ذهب الألباني إلى أن هذه القصة كانت بعد نزول آية الحجاب، واستدل بحديثين: الأول حديث أم عطية رضي الله عنها لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالخروج إلى صلاة العيد. فقالت أم عطية: إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها. الحديث الثاني: عن أم عطية رضي الله عنها أيضًا لما بايع عمر رضي الله عنه النساء بآية مبايعة النساء من سورة الممتحنة، وأن سورة الممتحنة نزلت يوم الفتح بعد آية الحجاب. وذكر المسور بن مخرمة (والحديث في البخاري) أن آية الامتحان نزلت في يوم الحديبية وكان ذلك سنة ست على الصحيح، وآية الحجاب نزلت سنة ثلاث، وقيل خمس (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٧٤-٧٦).

وما ذهب إليه الشيخ الألباني يرد عليه إيرادات: الاستدلال بخروج المرأة بالجلباب لصلاة العيد وأن هذا كان بعد نزول الأمر بإدناء الجلابيب (آية الحجاب): فهل كانت المرأة لا تخرج بالجلباب قبل نزول الآية، أم أن الجلباب كان معروفًا لدى نساء العرب عند خروجهن، ثم جاءت الآية بأمرهن بإدناء الجلباب عند الخروج، فقد قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب (شاعرة جاهلية) ترثي أخاها:

تمشي النساء إليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب

(انظر لسان العرب ١/٢٧٢، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص ٩٩)، وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى : الشيخ عوض السيد المرساوي، رئيس فرع السرو، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مَهْمَا كنتَ لاعبًا فلا تَلْعَبْ بدِينِك

إعداد د. عماد محمد علي عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله حقَّ حمده وصلَى الله على نبيِّنا مُحَمَّد رسوله وعبْدِه وعلى آله وصحبه وأوليائه من بعْده.

وبعد: فقد أصبحتْ سُوقُ السَّعاية في أيَامنا كاسدةً، وصار أكثرُ النَّاس من يُغْبنُ حقًّا وأقلهم من يُحْرزُ غُنْمًا، وباتتْ أحوال المسلمين لا تقوم على أساس، ولا تَتَمشَّى مع عقْلٍ ولا قياس، وقد أضرب الجمهور عن ذكْرها مع وضوح فسادها، وهذا من الْجَهْل الصَّميم الْمنافي للشَّرْع القَويم والعقْل السَّليم.

أسسُ النَّجاة:

من أخذ بها أسعفته وأغاثته، وكانت سببًا في نجاته وخلاصه من الفتن والمحن؛ إذ إن التمسك بها يُلحقُ الْمقصِّر بالْمشمِّر والْمتأخِّر بالْمتقدِّم.

وإذا كان لكُلِّ شيءٍ أساسٌ، ولكل أساس بناءٌ، فأساسُ بناء النَّجاة ثلاثةُ أمورٍ جَمَعها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امْلكْ عَلَيْكَ لسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» رواه الترمذي: (٢٤٠٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. اهـ.

الأَوَّل: وهي امْتلاكُ اللِّسان وكفُّه عمَّا لا ينفعُ، والثاني: لزومُ الْمَرْء بيْتَه فيُقلِّل من مُخالطته للنَّاس، والثالث: بُكاؤه على خطاياه، وندمُه على ذُنوبه، وتجديدُهُ للتَّوبة، وتصحيحُهُ للعَهْد الذي بيْنَه وبيْن الله صاحبِ النِّعمة عليه.

هذه هي الأصولُ الثَّلاثةُ الْمعتبَرة عند الفُهَماء، والقواعد الْمَبْنيَ عليها أمْر النَّجاة عند العلماء. فمنْ أخَذَ بقدْرٍ صالح منها ونصيب، فقد أصابَ الغرَض بسَهْم مُصيب.

وهي مجموعةٌ في حديثٍ واحد، ومسُوقةٌ في مساقِ جواب عن سؤال الْمُحْتاج الفاقد، وهذا الحديث في شَأن النجاة يصدق فيه قول القائل:

> أقبلْ على ربِّك واسْلُكْ سُبُلَه ذُلُلا، وأدْمِن الطَّرْق فإنَّه سيفْتَح لك، فربُّك كريمٌ لطيف بعباده ويحب التوابين، فأنين التائبين أحبُّ إليه من زجل المسبِّحين.

شَفى وكَفى ما في النُّفوس فلم يدَعْ
لذي إرْبَة في القَوْل جِدًا ولا هزْلا

لأنه قصد إلى عيْن الحُجَّة بتقْليل اللَفظ، وهذا من بديع البلاغة النبويَّة صلى الله وسلم على صاحبها الذي أُوتي جوامع الكلم، ورحم الله خالد بن صفوان -أحد البُلغاء- حين قال:

خيرُ الكلام ما ظَرُفتْ معانيه، وشَرُفتْ مبانيه، والتذّتْ به آذانُ سامعيه.

نعم، بمثل هذا الكلام يعلق القلب به وتهش الروح لسماعه، وتهتز النفوسُ طربًا به لأنه جمع السَلامة والنجاة في ثلاثة أمور، هي من السَهْل المُمتنع، فهي سهلة في الظَاهر لكن تحقيقها في الواقع أمرٌ صعب وشاقٌ، وربَّما يظنُّ الناسُ أنَّ هذه الأسباب الثلاثة يسيرة، لكن في الحقيقة ربَّما سهُل الشيءُ وانقاد من جهة القوْل، لكنه عزَ واعْتاص من جهة الفعْل.

لا تظنَنَّ المَجْد تمْرًا أنتَ آكلُه
لن تبلُغَ المَجْد حتَّى تلعَق الصَبْر

هذه الثلاث معالم الحياة، وطوق النجاة فإنْ أخذها المُسلم بحقها وقام بأمْرها فقدْ أفْلح، ومن تجاوزَها ولم يلتفتْ إليها خابَ وخسر.

حرصُ السَلف الأوائل على النَجاة:

كانت النَجاة والحُصول عليها والوُصول إليها غاية النهاية عند سلفنا الصالح رضي الله عنهم، إذْ كان القوم على الجادَة المستقيمة والمَحجَة البيْضاء القويمة؛ فلم يغيِّروا ولم يُبدِّلوا، ولم يزيدُوا ولم يُنقُصوا، بحيث كانوا يخْطُون بخطو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمْشون بمشْيه حذْو القُذَة بالقُذَة، أي: غلوٌ ولا جفاء، وبلا تفاوُت ولا تماوُت "القُذذ: ريش السَهم، واحدتُها: قُذَة أيَ: كما تُقَدَّر كلُ واحدة منهُما على قدْر صاحبتها وتُقْطع، يُضرب مَثلًا للشيئين يسْتويان ولا يتفاوتان" (النهاية: ٤/ ٢٨).

لقد كان يزعجهم الأرقُ والقلَق، ويحثُهم على المسير خوْف الغرَق، ويحدُوهم إلى الله تعالى الشوْقُ والحُرق، فيَمْشون -كما فعل يوشعُ بن نون فتى مُوسى عليهما السلام- على الشَط، غير مُبالٍ بمن انتقص ولا بمن حَط، ولا مُلتفت إلى من تخلَف أو سقط وانحَط، فبَلغوا بهذا الإيمان المنَزل، وحطوا على هذا الوجْه الرَحل في المعْقل، دُون أن يجدُوا في ذلك نصبًا، ولا أن يُخطؤوا في طلبه سببًا.

وبسبب هذا السَعْي المُبارك الجليل، والقصد النافع النبيل، سار الأسلاف على الجِدِّ الصِرْف ومضوْا على هذا الحَق المحْض، حتَى وصلوا إلى قمَة الحظ الراجح، وحصَلوا على السَعْي الرابح، وأسَسُوا لمن بعدهم كل أمْر ناجح، فطوبى لمَن سارَ بسَيْرهم واهْتدى بهدْيهم حتَى رسختْ له في منزلة النَجاة أقدام، ونجا من مَزلَة أقْدام، وصحَ له من الأجْر والثَواب أفضلُ الأقْسام وصدقَ الله حيث قال فيهم: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

ولئن كانت الموانع لا تُحصى ولا تنحصر، والآفات لا تنضبط ولا تَقْتصر، فإن من عاش حياة السلف الأوائل أدْرك من أسباب النجاة جُملة صالحة، وحصلتْ له بذلك صفقةٌ رابحة، فهل من مُدَّكر أم على قلُوب أقفالُها؟

فاجعل هؤلاء القوم أصَلَك وفصَلك، كما كان يفعل خالد بن معْدان العالم الزاهد، قال الوَليد بْن مسلم، عَنْ عبدة بنت خالد بْن معدان: قلَّ ما كانَ خالدُ يأوي إلى فراش مقيله إلَا وهُو يذْكرُ شوْقَه إلى رَسُول الله صلَى الله عليْه وسَلم، وإلى أصْحابه من المُهاجرين والأنصار ثُمَ يُسمِّيهم ويقولَ: هُمْ أصْلي وفصْلي، وإليهم يَحنُّ قلبي، طال شوْقي إليهم فعجِّل ربْ قبْضي إليْك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك. (تهذيب الكمال: ٨/ ١٧١).

وصدق القائل:

طيبُ الفُروعِ من الأُصولِ ولَمْ يُرَ
فرْعٌ يطيبُ وأصْلُه الزَّقُّومُ

وقد تقعدُ الهِمَةُ ببعضِ النَّاس ويقول: أينَ الترابُ من السَّحاب، وما نَحْن في جَنْب القوْم، ومن تكون إلى جوارهم؟

والجواب: صحيحٌ أنَّ بيْنَ الجيل الحاضر وبينَ القوْم من الجيل الأوَّل الغابر مفاوزَ وأشواطًا بعيدة، فإنَّ ما بينَ القوْم وبيْنَ أجْيالنا كما بيْنَ الدُّرِّ والصَّدف، وما بيْنَ المِسْك والجِيَف. غيْرَ أنَّ مَنْ سارَ على الدَّرْب وصَل، وأنَّ مَنْ جدَّ وجَد، والأعمال بالنيات فكم من قتيل بيْنَ الصفيْن اللهُ أعلم بنيته وربَّ ميِّت على الفراش يسْبقُ إلى الله تعالى بصدقه، وصلاح نيَّته، وسلامة طويَّته، وخُلوص قصْده، وحُسْن عهْده، فعن سَهْل بْن حُنَيْف، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: «مَنْ سأل اللهَ الشَّهادةَ بصدْقٍ، بلَّغهُ اللهُ منازلَ الشُّهداء، وإنْ مات على فراشه» (رواه مسلم: ١٩٠٩).

وعنْ أنس بْن مالك، قال: قال رسُولُ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم: «مَنْ طلب الشَّهادةَ صادقًا، أُعْطيَها، ولوْ لمْ تُصبْهُ» (رواه مسلم: ١٩٠٨).

فاستعنْ بالله يُعنْك، وسلْه يُجبْك، واسْتَوْهبْ ربَّك همَّةً عليَّةً، وعزيمةً فتيَّةً يُمْددْك كما قال القائل:

فالْزمْ يدَيْك بحبْلِ الله مُعْتصمًا
فإنَّه الركْنُ إنْ خانَتْك أرْكانُ

مهْما كنت لاعبًا فلا تلعبْ بدينك:

إنَّ طالبَ النَّجاة لا يلعبُ بدينه، ولا يُضحِّي بإيمانه، ولا يتركُ العملَ الصالح من أجْل أحد من النَّاس كائنًا مَنْ كان، وقد كانت وصية أسلافنا التي بالغُوا فيها ووصَّوْا بها كلَّ ذي عقْلٍ راجحٍ ولبٍّ ناصحٍ، أنَّهم قالوا: مهْمَا كنتَ لاعبًا بشيْء فلا تلعبْ بدينك.

وسبب ذكر هذه الوصية الغالية أن الساعيَ في طلب الآخرة لا يتماشى حالُه مع اللَّعب بالدِّين، ولا يتَّفق مع تضْييع الأوْقات فيما لا يُفيد، ولا تتناسب مع إفْناء الأعْمار فيما لا ينفع.

> إنَّ طالبَ النَّجاة لا يلعبُ بدينه، ولا يُضحِّي بإيمانه، ولا يتركُ العملَ الصالح من أجْل أحد من النَّاس كائنًا مَنْ كان.

بلْ إنَّ المُجدَّ في شأْن الوُصول إلى الجَنَّة آمنًا تجده أحْفظ الناس لدينه، وأحْرص النَّاس على وقته، وأكثر النَّاس سعْيًا في العمل الصالح، وأقومَهُم قيلًا وأهْداهُم طريقًا، حالُه كما وصفَ القائل:

رأيتُ عرابةَ الأوْسيَّ يَسْمُو
إلى الخَيْرات مُنْقَطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمَجْد
تَلَقَّاها عرابةُ باليَمينِ

فَأدِّ ما عليْك، وصلْ ما بيْنك وبيْن الله تعالى بصالحات الأعْمال وكثرة الاسْتغْفار والذِّكْر وتجديد التَّوْبة وصقل الإيمان والأوبة وتحوب من الآثام وتوقها قدْرَ ما تسْتطيعُ واللهُ معك، ولن يترك عملك كما قال تعالى: "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا" (طه: ١٢).

ما آبَ مَنْ آبَ لَمْ يظْفَرْ ببُغْيَته
ولَمْ يُعَبْ طالبٌ بالنُّجْح لم يخبْ

وأقْبلْ على ربِّك واسْلُكْ سُبُله ذُللًا، وأدْمن الطَّرْق فإنَّهُ سيُفْتَحُ لك. فربُّك كريمٌ لطيفٌ بعباده ويحب التوابين، فأنين التائبين أحبُّ إليْه من زجل المُسبِّحين، وإنْ رُددتَ فلا تيْأس.

فإنْ رُدِدتَ فما بالرَّدِّ منْقَصةٌ
عليْك قد رُدَّ مُوسَى قبلُ والخضرُ

ولا تعجلْ على فتْح الباب، فيستحْوذ عليْك الشَّيْطان ويُقنِّطك من رحمة ربِّك، ولا تُسئْ ظنَّك بربِّك، فإنَّ ذلك خيالٌ فاسد، وخبالٌ كاسد من الشيطان، يريد به الشيطان أنْ يُحدث الفجْوة بيْنك وبيْن ربِّك، فاحْذر من هذه الأكْدار، وخلِّ قلْبك من تلك الأغْيار، واطْرح أحوال الجُهَّال فإنها مشوَّشة، ومُغيِّرة ومُكدِّرة، فهذا أجْدى عليْك وأحمدُ لعواقب الأمُور إن شاء الله تعالى. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأشواك الجارحة في حقلنا الإسلامي المعاصر

إعداد د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن علمانية الغرب كانت واجبة عندهم؛ لأنها حيَّدت دينًا يقول: "أَغْمِضْ عينك وآمن"، وعلمانية الأعراب في أمتنا اليوم باطلة؛ لأنها تريد تحييد دين أول ما نزل منه: (اقرأ)، فهل علم الناس ما العلق يوم نزلت سورة العلق؟ فمن صور العلمانية عند الأعراب: تحييد كثير من الأحكام الشرعية الصريحة الموافقة لمقاصد الشريعة من أن تكون حاكمة مهيمنة بأحكام شرعية ضعيفة أو شاذة توافق الأهواء، وتتماشى مع الأفكار الغربية الحديثة المنظمة لحياة الفرد والمجتمع في العالم الغربي، شاهد ذلك التنظيم الأسري والمالي والجنائي في بلاد الإسلام. مع أن الأصل في الإسلام أن يكون ظاهرًا على غيره في بلاد الإسلام ممكنًا له، لا يزاحمه غيره مزاحمة الندَّ للند، وهذا مع احترام ما لغيره من حق في حدود ما أقرته الشريعة الإسلامية.

ويبدو لي أن المذاهب الفكرية والفلسفية المستوردة من بلاد الغرب وغيرها تُعْرَض عندنا مبتورة عن سياقها التاريخي غالبًا، سواء من دارسيها أو ناقديها أو المتبنّين لها المدافعين عنها، وهكذا يستمر الأمر عند المناضلين من أجل تحقيقها. وهذا يفسّر شيئًا من غرور بعض الذين يعيشون في أوطاننا الإسلامية بمذاهب أوطان غيرنا دون محاولة تمحيصها ودراسة جدواها وملاءمتها، فضلاً عن النظر في صحتها. والعلمانية أو اللائكية ذات المنشأ الغربي أو الأوروبي في إطارها التاريخي الذى وُجِدَت فيه كانت حلاً لجأ إليه منتحلوها لإشكالات واقعهم الثقافي والاجتماعي والسياسي.

والخلاصة: أن أوروبا كانت تعيش ظلامًا حقيقيًا من كل النواحي؛ جهل وتخلف، وظلم اجتماعي، وطغيان سياسي، وغير ذلك، وكانت الكنيسة محور ذلك الوضع التعيس، واتصلت أوروبا بالعالم الإسلامي وحضارته من طريقين: مجاورتها للأندلس غربًا، ومناسبة الحروب الصليبية التي دعت إليها الكنيسة شرقًا، ومن خلال المكوث في بلاد المسلمين في المشرق اكتشف عامة الأوروبيين واقعهم المرير الذي كانوا يعيشون فيه بمقارنته بما كان يعيشه المسلمون من علم مبذول وحث عليه وتشريع سابغ لكل مرافق حياتهم وعمرانهم، ومعرفة بالصنائع والاعتناء بمحاسن العيش، مما أوقع لديهم صدمة عادوا بآثارها إلى بلادهم، حاملين أمل تغيير أحوالهم بناءً على ما رأوه.

> “ المذاهب الفكرية والفلسفية المستوردة من بلاد الغرب وغيرها تُعرَض عندنا مبتورة عن سياقها التاريخي غالبًا، سواء من دارسيها أو ناقديها أو المتبنّين لها المدافعين عنها. ”

ولما كانت الكنيسة تقوم على التسليم بمقولات رجالها والإيمان بها كما هي، دون استناد إلى علم أو عقل، فإنها كانت تَحُدّ من كل طموح نحو العلم، بل وتحاربه وتعتبره زندقة غير مقبولة، فاصطدمت إرادتها بالإرادة الجديدة التي بدأت تنتشر عند الأوروبيين، بعد أن تأثروا بما كان عند المسلمين من سلام تام بين الدين والعلم، وبدأت تظهر الصراعات وأنواع الاضطهاد بين الكنيسة وأهل العلم وطلابه، ولم يكن لهذه الحركة العلمية الناشئة لتستسلم لإملاءات الكنيسة الكابحة.

من جهة التشريع لم يكن للكنيسة تشريع يجاوز طبيعتها الرهبانية الروحية لتسد به حاجات الناس الجديدة خاصة بعد تشوّفهم لما كان عليه المسلمون من فقه يشمل كل جوانب حياتهم دقيقها وجليلها يستمد من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسُنة النبي المجتبى صلى الله عليه وسلم، عيشة جماهيرية لا طبقية فيها، والمسجد يجمعهم دون فوارق، والقضاء يحكم بينهم كذلك، خلافًا لما كان يعيشه الأوروبيون من طبقية واستغلال واستعباد. فأنى للكنيسة أن تستجيب لتطلعاتهم نحو تنظيم حياتهم بتشريعات تريحهم وترفع عنهم العناء والظلم الذي سئموا من ويلاته، فاكتشف الأوروبيون أن الذي يقف في وجه تقدمهم علميًا وتنظيميًا في الحياة

السياسية والاجتماعية هي الكنيسة التي تعرقل مسارهم وأنه لا بد من إيجاد حل لذلك بعد تباين ردود الأفعال بين كافر بالكنيسة جاحد بها متمرد عليها وبين حريص على تقاليده النصرانية باحثًا عن جامع بينها وبين تلبية طموحه في العلم والتقدم والازدهار.

وبعد صراع مرير وصل الأوروبيون إلى حل ازدواجي اصطلحوا عليه هو اللائكية أو العلمانية، تكون فيهم عقيدتهم وتقاليدهم النصرانية حبيسة الكنيسة لا يصطحبونها معهم خارجها إلا في ضمائرهم لا تتعداها، لتكون شؤون حياتهم حرة بين أيديهم، يقررون فيها بما يحكم به العلم، وطبقًا لرغباتهم. ويشرعون لأنفسهم ما يرونه مناسبًا لسياستهم واجتماعهم غير ملتفتين للكنيسة قامعين لرجالهم. فاللائكية الغربية ما هي إلا نظام يفصل بين الكنيسة كرمز لدينهم وممارساته والتسليم بمقولاته، وبين الحياة العامة التي تؤطرها الدولة بعيدًا عن الكنيسة وتكون الحرية فيها للشعب في ممارسة حياته تحت مسؤوليتها لا مسؤولية الكنيسة؛ أي فصل الكنيسة عن الدولة أو فصل الدين عن السياسة.

> “ تميز الإسلام بتشريعاته السماوية المحكمة الحكيمة التي تنظِّم كل شؤون الدين والحياة. ”

فيظهر مما سبق أن تعميم العلمانية الغربية على بقية العالم ممكن عندما يكون الدين مسلَّمات لا تستند إلى العلم، ولا تنسجم معه كحال الديانات الوضعية المنتشرة في العالم سوى الإسلام الذي هو الدين عند الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ (سورة آل عمران: ١٩).

وعندما يكون الدين فقيرًا في مجال التشريع الذي ينظِّم الحياة، وهذا لا يسلم منه دين من الأديان الوضعية سوى الإسلام؛ فقد تميز بتشريعاته السماوية المحكمة الحكيمة التي تنظِّم كل شؤون الدين والحياة. يبقى أن الذي لا يسلم بما ذكرناه ويعتقد أنه يمكن تطبيق العلمانية في بلادنا لجهله بالإسلام أو تأويله تأويلاً لا نرضاه، لا يمكنه فرض ما يراه على غيره من المسلمين إلا بالقوة فلم نرَ شعبًا مسلمًا اختار العلمانية طواعية، والواقع يشهد على ذلك، وله أن يجرِّب الدعوة إلى فكرته والترويج لها بالحجة والبرهان ما دام ملتزمًا بنبذ طرق العنف والإكراه والتعسف؛ فإذا وصل إلى مراده في يوم من الأيام -وفي اعتقادنا لن يصل أبدًا- فعندئذ لا يكون الشعب أهلاً لإسلامه؛ والعياذ بالله.

ويقف إلى جوار هؤلاء بعض فقراء الفقه في دينهم الإسلامي، الذي هو أعظم دين يتسابقون في إظهار إسفافهم وتدينهم عن مستواه تمرّ على الواحد منهم حالات التعاسة والظلم والقذارة الأخلاقية؛ فلا يتحرك له ساكن ولا يرف له جفن، ثم يرى ما دون ذلك فيُرغي ويزبد ملحقًا جنونه ذاك بالإسلام العظيم، وكأن الإسلام لم يأتِ لرفع التعاسة والظلم عن الناس مهما كانوا. وكأن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لم يأتِ متممًا لمكارم الأخلاق، تراه منهكًا بالبطالة الجسدية والعطالة العقلية، لكنه

ينشط للتشفي وإظهار الشماتة في إخوانه في الدين، ويتمنى دمارهم ليخلو له وجه المناصب والمراتب، وينال من الثناء والمدح ما يكون ثمنه هو تعطيل الشريعة وبثّ الفرقة بين المسلمين، وإيقاف سير الدعوة إلى الله تعالى، وتنفير الناس من الإقبال على الله ورسوله.

إن قلة الفقه في الدين واختلال الموازين التي تتشوف إليها العقول السليمة ويرتقي إلى مقامها أصحاب المروءات لا تؤهل صاحبها للكلام عن الإسلام وتأويل أحكامه لتبرير ضلالات أصحاب الأهواء والغوايات والمصالح الدنيوية.. إنهم الأشواك الجارحة في حقلنا الإسلامي التي تغلق الطريق أمام سير القافلة الإسلامية التي تشهد تقدمًا سريعًا واسعًا مذهلاً في أوروبا، وهو ما دفع بعض المنظمات والهيئات والمؤسسات والحكام في أوروبا للتحذير من المدّ الإسلامي اللافت للنظر في الآونة الأخيرة؛ رغم حملات التشويه المتعمد والممنهج للإسلام في الإعلام الغربي، بل والعربي المضلل الذي يقتفي شطحات العقول الغربية في كل مجال؛ أملاً في إيقاف المد الإسلامي في أوروبا بالحجة والبيان لا بالسيف والسنان.

> وإياكم أن تظنوا أن حملات الطعن في الإسلام وأحكامه وأعلامه والتطاول على النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البرية سيُوقف انتشار الإسلام في الغرب أو الشرق، بل سيزيده قوة، ويجعله أكثر انتشارًا.

ويقظة الضمير المسلم لدى العديد من الفئات في العالم الإسلامي وهو ما يدفع أصحاب العداء القديم والحقد الدفين على الإسلام وأهله إلى الإساءة والتطاول على النبي الكريم سيد الأولين والآخرين. وهي طريقة قديمة يتوهم أصحابها أنهم بذلك ينالون من رسالة الإسلام الخالدة وحاملها صلى الله عليه وسلم. ولكن هيهات ثم هيهات فقد ذاق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغرّ الميامين فادح الأذى وعظيم البلاء على يد صناديد الكفر وأئمة الضلال؛ فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم- أكثر ثباتًا على دين التوحيد وأشد نشاطًا إلى الدعوة إليه، وأقبل الناس من كل حدب وصوب يدخلون في دين الله أفواجًا يطلبون رضا الله ثم الفوز بالجنة.

وإياكم أن تظنوا أن حملات الطعن في الإسلام وأحكامه وأعلامه والتطاول على النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البرية سيُوقف انتشار الإسلام في الغرب أو الشرق، بل سيزيده قوة، ويجعله أكثر انتشارًا، ولكن علينا عقد العزم على إعلان النفير العام لعرض حقائق الإسلام عرضًا جادًا يزيل ما ران على قلوب وعقول البشرية الغربية وغيرهم من المنتمين إلى الإسلام شكليًا بحكم الوراثة والجغرافيا من صدأ وثَبَ على قلوبهم وعقولهم نتيجة التقولات الكاذبة والتخرصات الباطلة والأضاليل المقوتة حول الإسلام ومصادره، ونتيجة التقصير في تبليغ الدعوة الإسلامية بعد أن شغلتنا مصاعب الحياة وعراقيل الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم. والله المستعان.

أخبار العالم الإسلامي

شيخ الأزهر: محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم

في إطار الحملة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والتي أثارتها تصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي تعهّد "بعدم التخلي عن رسوم كاريكاتور" تجسّد النبي صلي الله عليه وسلم ، وكان الرئيس الفرنسي قد أعلن، في مراسم تأبين المدرّس الذي قتله تلميذ مسلم بقطع الرأس على خلفية عرضه على تلاميذه رسوما كاريكاتورية تجسّد النبي محمد خلال حصة حول حرية التعبير، أن القتيل "كان يجسّد الجمهورية"، وأكد أنّ بلاده لن تتخلى "عن رسوم الكاريكاتور".

تزايدت الدعوات لمقاطعة البضائع الفرنسية في الشرق الأوسط، كما ندّدت المنظمات الإسلامية الخطاب السياسي الرسمي الصادر عن بعض المسؤولين الفرنسيين الذي يسيء للعلاقات الفرنسية الإسلامية، ويغذي مشاعر الكراهية من أجل مكاسب سياسية حزبية.

وقد ألقى د.أحمد الطيب،شيخ الأزهر، كلمة في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بسط فيها القول في فضائل النبي ووجوب محبته واتباع هديه ثم تطرق إلى تلك الأمواج العاتية من الكراهية والحقد والتي تنحدر بقوة صوب الإسلام بغية هدم بنيانه وزعزة أركانه ، لكن الله عز وجل حافظ دينه ومتم أمره ولو كره الكافرون، حيث جاء فيها ما يلي.

واعلموا أيُّها الإخوة أنَّ محبته فرض عين على كل مسلم من أمته، فمَن كان أبوه أو ابنه أو عائلته أو ماله أحبَّ إليه من الله ومن رسول الله فعليه أن ينتظرَ ما سيحلّ به عاجلًا وآجلًا، ثم هو من الفاسقين، إنّ العالَم الإسلامي ومؤسساته الدينيّة وفي مقدمتها: الأزهر الشريف قد سارع إلى إدانة حادث القتل البغيض للمدرس الفرنسي في باريس، وهو حادث مؤسف ومؤلم، لكن من المؤسف أشدَّ الأسف ومن المؤلم غاية الألم أيضًا أن نرى الإساءةَ للإسلام والمسلمين في عالمنا اليوم وقد أصبحت أداةً لحشد الأصوات والمضاربة بها في أسواقِ الانتخابات، وهذه الرسومُ المسيئةُ لنبيِّنا العظيم والتي تتبنّاها بعضُ الصُّحف والمجلات، بل بعض السياسات هي عبثٌ وتهريجٌ وانفلاتٌ من كل قيود المسؤوليّة والالتزام الخلقي والعرف الدولي والقانون العام، وهو عداءٌ صريحٌ لهذا الدِّين الحنيف، ولنبيّه الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

وإنَّنا ومن موقع الأزهر الشَّريف ندعو المجتمع الدولي لإقرار تشريع عالمي يجرم معاداة المسلمين والتفرقة بينهم وبين غيرهم في الحقوق والواجبات والاحترام الكامل المتبادل، كما أنَّنا ندعو المواطنين المسلمين في الدول الغربية إلى الاندماج الإيجابيِّ الواعي في هذه المجتمعات، والذي يحفظ عليهم هُويَّاتهم الدينية والثقافية، ويحول دون انجرارهم وراءَ استفزازات اليمين المتطرف، والعنصرية الكريهة.

هذا وإنِّي لأعجبُ العجبَ كله أن توقدَ نارُ الفتنة والكراهية والإساءة في أقطار طالما تغنّت بأنها مهد الثقافة وحاضنة الحضارة والتّنوير والعلم والحداثة وحقوقَ الإنسان، ثم تضطربَ في يديها المعاييرُ اضطرابًا واسعًا، حتى بتنا نراها وهي تمسك بإحدى يدَيْها مشكاةَ الحرية وحقوق الإنسان، بينما تمسك باليد الأخرى دعوة الكراهية ومشاعل النيران.

أيُّها المسلمون! لا تبتئسوا ممَّا حدث وممَّا سيحدث أيضًا، فقد تعرَّض نبيُّكم في حياته وبعد رحيله لما هو أشد من ذلك ممّا كان يُقابله بالصَّفح والإحسان والدُّعاء للجاهلين به بالهداية.. وكان يقول: «اللهمَّ اهْدِ قَوْمي فإنَّهم لا يَعْلَمُون» .

إعداد / محمد محمود فتحي

بدء المرحلة الثانية من العمرة والزيارة بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية

بدأت وزارة الحج والعمرة، بالتعاون مع الجهات المعنية، في المملكة العربية السعودية، تنفيذ المرحلة الثانية من العودة التدريجية لأداء العمرة والزيارة، حيث شرعت في استقبال المعتمرين من المواطنين والمقيمين من داخل المملكة على أن تستقبل المصلين فجر الأحد ١ ربيع الأول ١٤٤٢هـ الموافق ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠م.

وتتيح المرحلة الثانية الحصول على أربعة أنواع من التصاريح وهي أداء مناسك العمرة والصلاة في الروضة الشريفة وفي المسجد النبوي والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما، مع اتخاذ الإجراءات الاحترازية الصحية اللازمة، واستجابة لتطلّع كثير من المسلمين في الداخل والخارج لأداء مناسك العمرة والزيارة.

وبحسب الخطة التنفيذية التي وضعت من قبل الجهات الحكومية فستشهد المرحلة الثانية لعودة العمرة والزيارة لأعداد أكبر من المرحلة الأولى تصل إلى ١٥ ألف معتمر و ٤٠ ألف مصلٍ في اليوم الواحد كحد أقصى، حيث سيسمح للمواطنين والمقيمين بأداء مناسك العمرة ، بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية التي تراعي الإجراءات الاحترازية الصحية للمسجد الحرام، وسيخصص لكل فوج ٣ ساعات فقط لإتمام مناسك العمرة، كما سيسمح لهم بالصلاة في الروضة الشريفة وفي المسجد النبوي والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية التي تراعي الإجراءات الاحترازية الصحية للروضة الشريفة في المسجد النبوي.

تنامي القلق العالمي بشأن السياسة الصينية تجاه أقلية الإيغور المسلمة

يبحث الإيغور عن حقهم في الاستقلال والحياة كما يريدون لكن تحل عليهم لعنة ثروة إقليمهم الباطنية التي لن تتخلى عنها الصين في سياق صعودها كقوة اقتصادية عظمى، وبعد ١٣٠٠ عام من دخولهم الإسلام كما خرج من جزيرة العرب يبدو أن خيارهم الوحيد هو دخول في الإسلام كما تريده الصين بعيدًا جدًا عن عالم إسلامي مليء بالفوضى والصراعات.

وفي هذا الصدد قال الممثل الدائم لألمانيا لدى الأمم المتحدة كريستوف هيوسغن: إن البيان المشترك مؤشر واضح على تنامي القلق العالمي بشأن السياسة الصينية تجاه أقلية الايغور المسلمة. وفقًا لم نشره الموقع الالكتروني لمنظمة الأمم المتحدة على الانترنت.

وعلى الرغم من أنّ الايغور يتّبعون الدين الإسلامي، لكنهم يخضعون بحسب تقرير هيومن رايتس ووتش، للوائح وتعليمات، أشد من تلك المفروضة على غيرهم من المسلمين في الصين. ويشتكي الايغور من قيود شديدة يفرضها الحزب الشيوعي الصيني، مثل حظر الصوم لأعضاء الحزب، والموظفين الحكوميين، والمدرسين، والطلاب أثناء رمضان، فضلًا عن الحظر القسري على ذهاب الأطفال للمساجد، وإطلاق الشباب لحاهم، وتم حظر ارتداء الحجاب على نساء "الايغور" في الأماكن العامة بالصين، بما في ذلك المواصلات العامة، واحتفالات الزواج ، وفرضت غرامة مقدارها ٣٥٣ دولار على ارتداء الحجاب في الأماكن العامة. ومنع تسمية الأولاد ببعض الأسماء الإسلاميّة وغيرها.

محرمات استهان بها العروسان

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة الوسط التي بعثها الله تعالى ميسرة ولم يبعثها معسرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد هادينا بإذن ربه وشفيعنا في الآخرة. وبعدُ:

فإن شرع الله تعالى في الزواج أقرب إلى السهولة واليسر، وبركة الله تعالى وتيسيره جُعل لمن خاف الله واتقاه، وقد قال جل وعلا: " وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا" (الطلاق: ٤).

وتقوى الله جل وعلا تعني: اجتناب ما حرم الله، وفعل ما أمر الله طاعةَ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا فقه العروسان هذا المعنى وعملا به كان ذلك توفيقًا من الله لهما.

ما يجب على الزوج اجتنابه بعد عقد نكاحه

فإذا انتقل الخاطب من مرحلة عقد نكاحه إلى مرحلة التجهيز ليوم البناء والدخول بزوجته، فعليه أن يجتنب أمورًا ويحذرها.

أولا: ستر الجدران بالسجاد

مما ينبغي اجتنابه: ستر الجدر بالسجاد ونحوه؛ لأنه سرف وزينة غير مشروعة لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبًا في غزاة غزاها، فلما تحَيَّنْتُ قفوله، أخذت نمُطا (نوع من البُسُط) [فيه صورة كانت لي فسترت به على العُرض، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيته في الحجرة، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي أعزك فنصرك، وأقر عينيك وأكرمك، قالت: فلم يكلمني! وعرفت في وجهه الغضب، ودخل البيت مسرعًا، وأخذ النمط بيده فجبذه (أي جذبه) حتى هتكه ثم قال: (أتسترين الجدار بستر فيه تصاوير؟!، إن الله لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارة والطين). قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفًا فلم يعب ذلك عليَّ [قالت: فكان صلى الله عليه وسلم يرتفق عليهما. تعني: يتكئ عليهما. مسلم ٦/١٥٨.

قال الخطابي: العُرض هو الخشبة المعترضة يسقف بها البيت ثم يوضع عليها أطراف الخشب الصغار، يقال: عرضت

البيت تعريضاً. قال أبو داود:.... قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام: ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي على الباب أن يقطع فتصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، ومر بالكلب فليُخرج، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا الكلب لحسن أو حسين عليهما السلام[. معالم السنن (٤/ ٢٠٧).

ولذلك قطعت عائشة رضي الله عنها الستر بما فيه من تصاوير وتماثيل وجعلتهما وسادتين.

قال النووي رحمه الله: وَقَدْ صَرَّحَتْ فِي الرِّوَايَاتِ الْمَذْكُورَاتِ بَعْدَ هَذِهِ بِأَنَّ هَذَا النَّمَطَ كَانَ فِيهِ صُوَرُ الْخَيْلِ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ وَأَنَّهُ كَانَ فِيهِ صُورَةٌ فَيُسْتَدَلُّ بِهِ لِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَهَتْكِ الصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْغَضَبِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرِ وَأَنَّهُ يَجُوزُ اتِّخَاذُ الْوَسَائِدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم حِينَ جَذَبَ النَّمَطَ وَأَزَالَهُ (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أن نكسوا الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ) فَاسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّهُ يُمْنَعُ مِنْ سَتْرِ الْحِيطَانِ وَتَنْجِيدِ الْبُيُوتِ بالثياب وهومنع كراهة تنزيه لا تحريم: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ. وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرٌ الْمَقْدِسِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا هُوَ حَرَامٌ. وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ لِأَنَّ حَقِيقَةَ اللَّفْظِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْنَا بِذَلِكَ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مَنْدُوبٍ وَلَا يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ). شرح النووي على مسلم (١٤/ ٨٧).

وقال ابن حجر رحمه الله:

حُكْمُ سَتْرِ الْبُيُوتِ وَالْجُدْرَانِ فَفِي جَوَازِهِ اخْتِلَافٌ قَدِيمٌ وَجَزَمَ جُمْهُورُ الشَّافِعِيَّةِ بِالْكَرَاهَةِ وَصَرَّحَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ الْمَقْدِسِيُّ مِنْهُمْ بِالتَّحْرِيمِ وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ وَجَذَبَ السِّتْرَ حَتَّى هَتَكَهُ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ تَدُلُّ عَلَى كَرَاهَةِ سَتْرِ الْجِدَارِ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَنْعَ كَانَ بِسَبَبِ الصُّورَةِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِي السِّيَاقِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْرِيمِ وَإِنَّمَا فِيهِ نَفْيُ الْأَمْرِ لِذَلِكَ، وَنَفْيُ الْأَمْرِ لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ النَّهْيِ، لَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يُحْتَجَّ بِفِعْلِهِ صلى الله عليه وَسَلَّمَ فِي هَتْكِهِ.[. فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٥٠).

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

قوله: " لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين " دليل على كراهية ستر الجدار كما يفعله كثير من العوام في الأعراس[. كشف المشكل من حديث الصحيحين مسند عائشة(٤/ ٢٥٥).

وعليه فالأمر عند أهل العلم يتردد بين الكراهية والتحريم، ومن أجل ذلك كان بعض السلف يمتنع من دخول البيوت المستورة جدرها،

قال سالم بن عبد الله:

أعرست في عهد أبي، فآذن أبي الناس، وكان أبو أيوب فيمن آذنًا، وقد ستروا بيتي بنجاد (ما يزين به البيت من البسط والوسائد والفرش) أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرآني قائمًا، واطلع فرأى البيت مستترا بنجاد أخضر، فقال: يا عبد الله أتسترون الجدر؟! قال أبي - واستحيا: غلبنا النساء أبا أيوب! فقال: من كنت أخشى عليه أن تغلبنه النساء فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنك، ثم قال: لا أطعم لكم طعامًا، ولا أدخل لكم بيتًا. ثم خرج رحمه الله». الطبراني ١/ ١٩٢.

وفي حالة تغيير هذه السُتر فيمكن شقها نصفين إن كان بها صور ذوات أرواح فتستخدم في أي متاع آخر.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

وإنما جاز أن تجعل وسادة لأنها تبتذل، وكذلك لو فرشت، بخلاف ما إذا علقت فإن فيها تعظيمًا لها. كشف المشكل من حديث الصحيحين مسند عائشة (٤/ ٢٥٥).

ثانيا: نمص الحواجب:

كذلك مما يجب على الزوجة اجتنابه على العموم وبالأحرى قبيل دخولها بيت الزوجية يوم عرسها: نتف الحواجب ونمصها وترقيقها وتغيير خلق الله تعالى فيها. وهو ما تفعله بعض النسوة من نتفهن حواجبهن حتى تكون كالقوس أو الهلال، يفعلن ذلك تجملا بزعمهن! وهذا مما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن فاعله بقوله صلى

الله عليه وسلم. وفي الحديث المرفوع أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله). فأما الوشم فهو غرز الكف أو الذراع بالإبرة، ثم يحشى بكحل أو نحوه مما يخضره، فالفاعلة واشمة، والتي تطلب أن يفعل بها ذلك مستوشمة. والنامصة: التي تنتف الشعر من الوجه. والمتنمصة: هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك، وهو مأخوذ من المنماص، وهو المنقاش، وبعض قرأة الحديث تقول: المنتمصة بتقديم النون. والذي ضبطناه عن أشياخنا في كتاب أبي عبيد بتقديم التاء مع التشديد. والمتفلجات: هن اللواتي يتكلفن تفريج ما بين الثنايا والرباعيات بصناعة، والفلج في الأسنان: تباعد ما بين ذلك. وظاهر هذا الحديث أن الكلام مطلق في حق كل من فعل هذا. وقول ابن مسعود يدل على ذلك. ويحتمل أن يراد به المتصنعات من النساء للفجور، لأن مثل هذا التحسن دأبهن. ويحتمل أن يراد بهن المموهات على الرجال بمثل هذه الأفعال لتغر المتزوج. . كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٢٧٣). قلت: ويشمل أيضا من تفعله لعرسها ولزوجها.

ثالثا: مخالفة سنن الفطرة كإطالة الأظفار وحلق اللحية وغير ذلك:

وللنساء في ذلك مخالفات وللرجال كذلك، ومنها ما يشترك فيه الرجال والنساء، وخاصة في الأعراس والأفراح.

هذه العادات القبيحة التي تسربت من الغرب إلى المجتمع المسلم للنساء والرجال، فللنساء، كتدميمهن لأظفارهن بالصمغ الأحمر المعروف اليوم بـ (مينكير) وإطالتهن لبعضها، فإن هذا مع ما فيه من تغيير لخلق الله المستلزم لعن فاعله كما سيأتي في حديث أنس رضي الله عنه، ومن التشبه بالكافرات المنهي عنه في أحاديث كثيرة التي منها قوله صلى الله عليه وسلم: «... ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود وأحمد؛ فإنه أيضا مخالف للفطرة (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الفطرة (أي السنة) خمس: الاختتان، والاستحداد، (وفي رواية: حلق العانة)، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط».

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وأما حديث أنس المذكور في الكتاب (وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة) فمعناه لا يترك تركا يتجاوز به أربعين، والله أعلم. وأما تقليم الأظفار فسنة ليس بواجب... أما نتف الإبط فسنة بالاتفاق والأفضل فيه النتف لمن قوي عليه ويحصل أيضا بالحلق وبالنورة، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن، وأما قص الشارب فسنة أيضا، وأما حد ما يقصه فالمختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله، وأما روايات "أحفوا الشوارب" فمعناها: أحفوا ما طال على الشفتين والله أعلم، وأما إعفاء اللحية فمعناه توفيرها وهو معنى أوفوا اللحى في الرواية الأخرى، وكان من عادة الفرس قص اللحية فنهى الشرع عن ذلك، وقد ذكر العلماء في اللحية عشر خصال مكروهة بعضها أشد قبحا من بعض: إحداها: خضابها بالسواد إلا لغرض الجهاد. الثانية: خضابها بالصفرة تشبيها بالصالحين لا لاتباع السنة. الثالثة: تبييضها بالكبريت أو غيره استعجالا للشيخوخة لأجل الرياسة والتعظيم وإيهام أنه من المشايخ. الرابعة: نتفها أو حلقها أول طلوعها إيثارا للمرودة وحسن الصورة. الخامسة: نتف الشيب. السادسة: تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعا ليستحسنه النساء وغيرهن. السابعة: الزيادة فيها والنقص منها بالزيادة في شعر العذار من الصدغين أو أخذ بعض العذار في حلق الرأس ونتف جانبي العنفقة وغير ذلك. الثامنة: تسريحها تصنعا لأجل الناس. التاسعة: تركها شعثة ملبدة إظهارا للزهادة وقلة المبالاة بنفسه. العاشرة: النظر إلى سوادها وبياضها إعجابا وخيلاء وغرة بالشباب وفخرا بالمشيب وتطاولا على الشباب. الحادية عشر: عقدها وضفرها. الثانية عشر: حلقها إلا إذا نبت للمرأة لحية فيستحب لها حلقها. والله أعلم. شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٩).

وللحديث بقية إن شاء الله.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٥)

قصة مفتراة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع النصراني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إن الأزهر الشريف- حفظه الله من الواهيات والمنكرات- جعل هذه القصة من مقررات الصف الثالث الإعدادي؛ حيث يدرس على طلاب هذه المرحلة في كتاب «الثقافة الإسلامية» (ص٢٩) هذا العام الدراسي (٢٠٢٠- ٢٠٢١م).

٢- هذا الكتاب- كما هو مبين من غلافه- أعدته لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف، استجابة لتطوير

إعداد علي حشيش

وتجديد الخطاب الديني.

٣- لو كان هذا الكتاب ألفه شخص للعامة، ما كان يهمنا بيان ما فيه من واهيات، أمّا أن يكون منهجًا تربويًا علميًا للآلاف من أبنائنا وأحفادنا في هذه المرحلة من التعليم فلا بد من البيان لأهمية هذه المرحلة من العمر؛ حيث يكون الطالب فيها بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة، وهو السن الذي ينشأ عليه ناشئ الفتيان كما في هدي النبي صلى الله عليه وسلم، تربية وسلوكًا واعتقادًا

٤- ومن أهم الأسباب أن لجنة التطوير في هامش الكتاب (ص٢٩) أنها نقلت هذه القصة من «البداية والنهاية» (٥/٨)، ولم تذكر غير هذه العبارة.

قلتُ: وكتاب «البداية والنهاية» مصنَّفه الإمام الحافظ المحدث ابن كثير والطبعة التي ذكرت فيها هذه القصة بهذا الرقم، هي طبعة: دار إحياء التراث

العربي ببيروت، وبالرجوع إليها لمراجعة النص المنقول في كتاب «الثقافة الإسلامية» وجدت أن النص حدث فيه بتر وتدليس.

البتر الأول: في السند، فقد بتر الجزء الأول من السند الذي ذكره الحافظ ابن كثير، وهذا خطير لا يعرف مدى خطره إلا من هذا الشأن صناعته، فالإمام الحافظ ابن كثير ذكر هذا الجزء من السند، حيث تتركز به العلة التي تستبين بها حقيقة هذه القصة الباطلة فتبرأ عهدته، ولذلك أخرج الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» عن الإمام ابن المبارك قال: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

البتر الثاني: في المتن، وذلك بحذف الجزء الخاص بالمرفوع وهو الكلام المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة؛ لأن فيه إحراجًا شديدًا لهم، ولو علموا أن القصة من أولها إلى آخرها بموقوفها ومرفوعها باطلة لما ذكروها ولا وقعوا في حرج هذا البتر.

ثانيا: مقارنة لبيان هذا البتر:

١- سنذكر أولاً: نص القصة في كتاب «الثقافة الإسلامية» المقرر على الصف الثالث الإعداد بالمعاهد الأزهرية بمصر هذا العام (٢٠٢٠- ٢٠٢١م) هذا النص كما أشاروا في هامش الكتاب أنه منقول من كتاب «البداية والنهاية» (٥/٨).

٢- ثم نذكر ثانيًا: نص القصة في كتاب «البداية والنهاية»، ونقارن بينهما ليتبين البتر والتدليس في النص سندًا ومتنًا.

٣- نص القصة في كتاب «الثقافة الإسلامية» (ص٢٩): «حدث لأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه حينما وجد درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح القاضي يخاصم النصراني.

قال علي رضي الله عنه: يا شريح، هذا الدرع درعي، ولم أبعْ، ولم أهَبْ.

قال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت شريح إلى أمير المؤمنين قائلاً: يا أمير المؤمنين، هل من بيِّنة؟

فضحك عليٌّ رضي الله عنه، وقال: أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، فأخذها النصراني ومشى خطوات، ثم رجع، فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يخاصمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، فقال: أما إذ أسلمت فهي لك. اهـ.

ثم أشاروا في الهامش إلى أن هذا النص من «البداية والنهاية» (٥/٨).

٤- نص القصة في كتاب «البداية والنهاية»:

قال الإمام الحافظ المحدث ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» (٥/٨) (ط دار إحياء التراث العربي ببيروت): وقال عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي عن الشَّعْبيِّ قال: وجد عليُّ بْنُ أبي طالبٍ دِرْعَهُ عند رَجُلٍ نَصْرانيٍّ فأقْبَلَ به إلى شُرَيْحٍ يُخاصِمُهُ.

قال: فجاء عليٌّ حتَّى جلس جَنْبَ شُرَيْحٍ، وقال: يا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمي مُسْلمًا ما جلسْتُ إلا معَهُ، ولكنَّهُ نصرانيٌّ، وقدْ قال رَسُولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ: " إذا كُنْتُمْ وإيَّاهُمْ في طَرِيقٍ فاضْطَرُّوهُمْ إلى مضايقه، وصَغِّرُوا بِهِمْ كَمَا صَغَّرَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطْغَوْا ".

ثُمَّ قال: هذا الدِّرْعُ دِرْعي ولَمْ أبِعْ ولَمْ أهَبْ.

فقَال شُرَيْحٌ للنَّصْرانيِّ: ما تقُولُ فيما يقُولُ أميرُ المُؤْمنينَ؟

فقَال النَّصْرانيُّ: ما الدِّرْعُ إلَّا دِرْعي وما أميرُ المُؤْمنينَ عنْدي بِكاذِبٍ، فالْتفتَ شُرَيْحٌ إلى عليٍّ فقَال: يا أميرَ المُؤْمنينَ هلْ منْ بَيِّنةٍ؟ فضَحكَ عليٌّ وقال أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خطىً ثُمَّ رجع فقَال: أمَّا أنا فأشْهدُ أنَّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقْضي عليْه، أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّه وأشْهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ ورسُولُهُ، الدِّرْعُ واللَّه دِرْعُكَ يا أمير المُؤْمنين.

فقَال: أما إذْ أسْلمْتَ فهي لكَ».

قلتُ: بالمقارنة بين النصين يتبين البتر والتدليس في السند والمتن:

أ- وذلك بحذف جزء من السند والذي أظهره الحافظ ابن كثير وتتركز به العلة لتبرأ عهدته، حيث يستبين بها بطلان القصة، كما سنبين من التحقيق.

ب- حذف أكثر من أربعين كلمة من المتن منها جزء موقوف على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجزء مرفوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم توهموا أن فيه إحراجًا شديدًا فبتروه ظنًا منهم أن القصة صحيحة، بينما هي تالفة مكذوبة؛ كما ستبينه الصناعة الحديثية.

ثالثًا: التخريج:

هذه القصة التي أوردها المحدث الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في كتابه «البداية والنهاية» (٥/٨) أخرجها الإمام الحافظ البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في «السنن الكبرى» (١٣٦/١٠)، وأخرجها الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق» (٤٨٧/٤٢) عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن الشعبي قال: وجد عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه درعه عند رجل نصراني.... القصة.

فائدة: لفظ القصة في «البداية والنهاية» هو لفظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق».

رابعا: التحقيق:

هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به موضوع، والموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيِّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١)، والخبر به علل مركبة تبرهن على أنه موضوع:

العلة الأولى: عمرو بن شمر:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٧٥/٢): «عمرو بن شمر الجُعفي كنيته أبو عبد الله يروي عن جابر الجعفي كان رافضيًا يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممن يروي الموضوعات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجُّب، وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: عمرو بن شمر ليس بثقة، لا يُكتب حديثه». اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٤٦): «عمرو بن شمر كذاب زائغ». اهـ.

٣- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٥٨٣/٢٤٤/٦): «عمرو بن شمر منكر الحديث». اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث»، فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤- نقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٢٣/٤): أن الحاكم أبو عبد الله قال: «كان عمرو بن شمر كثير الموضوعات عن جابر الجعفي، وليس يروي تلك الموضوعات الفاحشة عن جابر غيره». اهـ.

العلة الثانية: جابر الجعفي:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٨/١): «جابر بن يزيد الجعفي من أهل الكوفة يروي عن الشعبي، كان سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إن عليًا يرجع إلى الدنيا». ثم أخرج بسنده عن زائدة بن قدامة الكوفي قال: «جابر الجعفي كان والله كذابًا يؤمن بالرجعة». اهـ.

٢- وقال الإمام الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٠): «جابر بن يزيد الجعفي كذاب سألت عنه ابن حنبل؟ فقال: تركه ابن مهدي فاستراح». اهـ.

٣- وقال الإمام النسائي في «المتروكين» (٩٨): «جابر بن يزيد الجعفي: متروك».

الخلاصة:

القصة واهية، والخبر الذي جاءت به القصة: موضوع بالكذابين والوضاعين والمتروكين الزائغين من الشيعة الروافض. فأَثْبِت العَرْش ثُمّ انْقُشْ: فإن سماحة الإسلام في معاملة النصارى متواترة تواترًا عمليًا على مرِّ العصور، يغني عن هذه القصص الغريبة المكذوبة، هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٩٩) — القسم الثاني

علي حشيش

٨٨٧- «يدُ الرحمن على رأس المؤْذن حتى يفرغ من أذانه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/١٤٦) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد ضعيف». اهـ. قلتُ: لكي نقف على درجة هذا الضعف لا بد من الوقوف على علةِ هذا الحديث، فالحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٢٠٠٨) قال: «حدثنا أحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو الربيع، قال: حدثنا عمرو بن حفص العبدي، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك مرفوعًا. والحديث غريب حيث قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ثابت إلا عمر بن حفص». اهـ.

قلت: وهو علة هذا الحديث، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/١٨٩/٦٠٧٥): «عمر بن حفص أبو حفص العبدي، قال أحمد: تركنا حديثه وخرّقناه، وقال عليّ: ليس بثقة، وقال النسائي: متروك». اهـ. ونقله ابن حجر في «اللسان» (٤/٤٤٣)، وأقره وذكر أنّ أحمد قال: «تركنا حديثه وحرّقناه». اهـ.

٨٨٨- «من أسبَغ الوضوء في البرد الشديد كان له من الأجر كفلان».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح٥٣٦٢) عن أبي حفص العبدي، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب مرفوعًا. وقال: «لم يرو هذا الحديث عن علي بن زيد إلا أبو حفص واسمه عمرو بن حفص». اهـ. قلت: وعمرو بن حفص هذا هو علة الحديث، وهو ليس بثقة متروك تركوا حديثه وحرقوه كما بينا آنفًا، وعلي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف. قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٣٧).

٨٨٩- «علماءُ أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٧٠٢)، قال شيخنا- يعني ابن حجر- ومن قبله الدميري والزركشي: «إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يُعرف في كتاب معتَبر».

٨٩٠- «الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/٢١٨) باب «حجامة رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: «أخبرنا عمر بن حفص عن أبان عن أنس مرفوعًا». وعلته عمر بن حفص العبدي ليس بثقة، متروك كما بينا آنفًا، وعلة أخرى أبان- وهو ابن أبي عياش- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٣١): «متروك». اهـ.

٢٩١- «إن العالم ليُعذَّب عذابًا يطيف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/٥٩) مرفوعًا بصيغة الجزم وقال: «أراد به العالم الفاجر». اهـ. قالوا: «أَثْبت العَرْش ثمَ انْقُشْ»؛ فقد قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده بهذا اللفظ». اهـ.

الحلقة (٧٣)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

معتقد أهل السنة في توحيد الصفات تابع: جولة مع ابن قدامة في مناظرته الأشاعرة لإثبات صفة الكلام على حقيقتها، وأنه بحرف وصوت لا يشبه حروف وأصوات المخلوقين

إعداد **أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فيأتي ضمن ما نافح به ابن قدامة عن معتقد السلف في صفة الكلام: ثناؤه على الإمام أحمد وغيره ممن ثبتوا من أهل السنة في (فتنة خلق القرآن)، وردّه شبهة أهل زمانه في اغترارهم بكثرة القائلين بقصر صفة الكلام على النفسي منها وإنكار الحرف والصوت.

أ- ابن قدامة يثني على من ثبت في فتنة خلق القرآن، ويتابع دحض شبهات مخالفيهم من الأشاعرة:

يقول -رحمه الله-: "ولما وقعت الفتنة، وظهرت المعتزلة ودعوا إلى القول بخلق القرآن، ثبت أهل الحق حتى قُتل بعضهم وحُبس بعضهم وضُرب بعضهم، فمنهم من ضعُف فأجاب تقيّة وخوفاً على نفسه، ومنهم من قوي إيمانه وبذل نفسه لله، واحتسب ما يصيبه في جنب الله ولم يزل على السنة، إلى أن كشف الله تلك الفتنة وأزال تلك المحنة وقمع أهل البدعة.

وكان أهل السنة قد اتفقوا على: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن القرآن الذي دعوا إلى القول بخلقه، سوى هذه السور التي سماها الله قرآناً عربياً، وأنزلها على رسوله عليه السلام، ولم يقع الخلاف في غيرها البتة.

وعند متأخري الأشاعرة: أنها مخلوقة، فقولهم قول المعتزلة لا محالة، إلا أنهم يريدون التلبيس فيقولون في الظاهر قولاً يوافق أهل الحق ثم يفسرونه بقول المعتزلة.. فمن ذلك أنهم يقولون: (القرآن مقروء متلو محفوظ مكتوب مسموع)، ثم يقولون: (القرآن في نفس الباري قائم به، ليس هو سوراً ولا آيات ولا حروفاً ولا كلمات)، فكيف يُتصوّر إذاً قراءته وسماعه وكتابته.. ويقولون: (إن موسى سمع كلام الله من الله)، ثم يقولون:

(ليس بصوت).. ويقولون: (إن القرآن مكتوب في المصاحف)، ثم يقولون: (ليس فيها إلا الحبر والورق)؛ فإن كانت كما زعموا فلمَ لا يمسها إلا المطهرون -وما رأينا المُحدث يُمنع من مس حبر ولا ورق-؟!؛ ولم تجب الكفارة على الحالف بالمصحف إذا حنث؟!.

ومن قال: (إنه ليس في المصحف إلا الحبر والورق)؛ لزمه التسوية بين المصحف وبين ديوان الشعر، لأنه إذا لم يكن بين كل واحد منهما غير الحبر والورق فقد تساويا، فيجب تساويهما في الحكم.

هذا؛ مع ردهم على الله وعلى رسوله، وخرقهم لإجماع الأمة، فإنه تعالى قال: (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الواقعة/ ٧٥: ٨٠). فأقسم تعالى أنه قرآن كريم في كتاب مكنون، فردُّوا عليه وقالوا: (ما في الكتاب إلا الحبر والورق)، وقال تعالى في رد ذلك: (بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) (البروج/ ٢١: ٢٢)، وقال: (وَٱلطُّورِ (١) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ) (الطور/ ١: ٣)، وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: "لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ فإني لا آمن أن يناله العدو"، يريد المصاحف التي فيها القرآن، واتفق المسلمون كلهم على تعظيم المصحف وتبجيله، وتحريم مسه على المُحدث، وأن من حلف به فحنث فعليه الكفارة، ولا تجب الكفارة بالحلف بمخلوق.

وذكر بعض المبتدعة أنه إنما وجبت الكفارة على الحالف لاعتقاد العامة -دون العلماء- أن فيه كلام الله؛ وهذه غفلة منه فإن هذا الحكم من لدن النبي ولم يتجدد الآن؛ فإن أقر أن عامة أهل عصر النبي وصحابته كانوا يعتقدون أن فيه كلام الله وأقرهم عليه صلى الله عليه وسلم وصوَّبهم فيه، فهو الحق الذي لا شك فيه ولا يحل خلافه، وإن قال: (إنهم كانوا يعتقدون ذلك ولم يعلم بهم عليه السلام)، فكيف علم هو؟؛ وكيف علم هو من أحوال أصحاب رسول الله ومن اعتقاداتهم ما يخفى على الرسول وهو بين أظهرهم، وعنه يأخذون وإليه يرجعون، وبه يقتدون وعنه يصدرون؟؛ ثم هل كانوا مُصيبين في اعتقادهم أو مخطئين؟؛ فإن كانوا مخطئين فقد اعتقد هذا البعض أن أصحاب رسول الله كانوا ضُلَّالاً ومَن بعدهم، وأنه هو أصاب بمخالفتهم!.

وكيف يجوز أن يكون أصحاب رسول الله اتفقوا على اعتقاد الخطأ والضلال والباطل، وأخطئوا الحق وتبعهم مَن بعدَهم على ذلك، إلى أن جاء هذا الجاهل بزعمه فعرف الصواب وعرف خطأ مَن كان قبله؟؛ ثم هذا إقرار بأن مقالته بدعة حادثة، خالف بها أصحاب رسول الله والتابعين بعدهم، وهو الذي يقوله عنهم وبدعته فيهم.

وإن زعم أن أهل عصر النبي عليه السلام لم يكونوا يعتقدون هذا وإنما حدث بعدهم، فلمَ ثبُت هذا الحكم في عصرهم؟؛ ولم وجبت الكفارة على الحالف بالورق والحبر، ولا خلاف بين المسلمين أنه لا تجب كفارة بالحلف بورق ولا حبر ولا مخلوق؟!؛ ثم متى حدث هذا الاعتقاد؟؛ وفي أي عصر، وما علمنا الحادث إلا قولهم الخبيث المخالف للأمة، وللكتاب والسنة؟!

ثم كيف يحل أن يوهموا

العامة ما يقوى به اعتقادهم الذي يزعمون أنه بدعة: من تعظيمهم للمصاحف في الظاهر واحترامها عند الناس، وربما قاموا عند مجيئها وقبّلوها ووضعوها على رؤوسهم ليوهموا الناس أنهم يعتقدون فيها القرآن، وربما أمروا من توجّبت عليه يمين في الحكم بالحلف بالمصحف إيهاماً له أن الذي يُحلف به هو القرآن العظيم والكتاب الكريم، وهذا عندهم اعتقاد باطل؟!

وكيف يحلُّ لهم أن يتظاهروا به ويُضمروا خلافه؛ وهذا هو النفاق في عهد رسول الله وهو الزندقة اليوم، وهو: أن يُظهر موافقة المسلمين في اعتقادهم ويُضمر خلاف ذلك؛ وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة، كونهم: يُظهرون تعظيم المصاحف إيهامًا أن فيها القرآن ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلا الورق والمداد.. ويظهرون تعظيم القرآن ويجتمعون لقراءته في المحافل والأعزية، ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته.. ويُظهرون أن موسى سمع كلام الله من الله ثم يقولون ليس بصوت؟!".

ب- ابن قدامة يعيب ما نعيبه على أشاعرة زماننا من: اغترار بالكثرة وسعة الانتشار على ما عليهم من باطل

يقول رحمه الله: "ومن العجب أن أهل البدع يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم، ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم، فيجعلون ما جعله النبي دليل الحق وعلامة السنة دليلاً على الباطل".. وفي ردّ ذلك يقول: "إن النبي أخبرنا أن في آخر الزمان تكثر البدع وتموت السنن، ويغرب الدين، وأنه يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وأنه يقل أهل الحق إلا أنه مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وأنه يعْظم ثوابهم ويكثر أجرهم، وشبه عليه السلام الدين في آخره بأول ابتدائه في غربته وقلة أهله، فقال فيما أخرجه مسلم وغيره: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)، ثم جمع بينهم في أن لهم طوبى فقال: (فطوبى للغرباء).

كما أخبر عليه السلام بقلة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم، وظهور أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم بكثرة أموالهم وأولادهم وضعف أهل الحق. فقد قال قوم نوح له: (وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) (هود/ ٢٧). وقال قوم صالح فيما أخبر الله عنهم بقوله: (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) (الأعراف/ ٧٥: ٧٦).

وقال قوم نبينا: (وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) (سبأ/ ٣٥)، وقال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ) (الأنعام/ ٥٣). وقال يحكي حال الكفار: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ) (الأحقاف/ ١١).

كما نسوا قول الله تعالى:

(وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ) (الرعد/ ٢٦)، وقوله: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا) (الكهف/ ٢٨)، وقوله: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) (الآيات من سورة الكهف ٣٢)، وقوله: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ) (الحجر/ ٨٨)، وقوله: (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) إلى قوله: (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) (الزخرف/ ٣٥).

وقد كان قيصر ملك الروم وهو كافر أهدى منهم؛ فإنه حين بلغه كتاب النبي سأل عنه أبا سفيان، فقال أبو سفيان: (يتبعه ضعفاء الناس أو أقوياؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم)؛ فكان هذا مما استدل به على أنه رسول الله، وقال: (إنهم أتباع الرسل في كل عصر وزمان).. وفي الآثار أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه فقال له: (يا موسى، لا يغرنكما -موسى وهارون عليهما السلام- زينة فرعون ولا ما مُتّع به، فإنني لو شئت أن أزينكما بزينة يعلم فرعون أن مقدرته تعجز عن أقل ما أوتيتما لفعلتُ، ولكنني أضنُّ بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي وقديماً خِرْتُ لهم أني لأذودُهم عن الدنيا كما يذود الراعي الشفيقُ إبله وغنمه عن مراتع الهلكة، وما ذلك لهوانهم عليَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من الآخرة سالمًا موفرًا لم تُكْلِمْه الدنيا ولم يُطْغه الهوى).

وقد روي عن عمر أنه دخل على النبي بمشربة له فرفع رأسه في البيت، فلم ير فيه إلا أهبة، والنبي متكئ على رمال حصير وما بينه وبينه شيء، قد أثر في جنبه، فقلت: يا رسول الله؛ وأنت على هذه الحال، وفارس والروم وهم لا يعبدون الله لهم الدنيا، فجلس عليه السلام محمراً وجهه؛ ثم قال: (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟؛ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة).

وراح ابن قدامة يختم كلامه بما أنشده علي بن أبي بكر الطرازي بحق الأشاعرة، قائلاً:

دعوني من حديث بني اللتيا
ومن قوم بضاعتهم كلامُ
تفاريقُ العصا من كل أوب
إذا ذُكروا وليس لهمْ إمامُ
إذا سُئلوا عن الجبار مالوا
إلى التعطيل وافتضح اللئامُ
وإن سُئلوا عن القرآن قالوا
يقول بخلقه بشرٌ كرامُ
كلامُ الله ليس له حروف
ولا في قوله ألفٌ ولامُ
فهذا دينُهم فاعلم يقيناً
وليس على مُهجَنهم مَلامُ
لهمْ زجلٌ وتوحيدٌ جديدٌ
أبى الإسلام ذلك والأنامُ
وزمزمةٌ وهينمةٌ وطيشٌ
كأنهم دجاجٌ أو حمامُ
وإزراءٌ بأهلِ الحقِّ ظلماً
وتلقيبٌ وتشنيعٌ مُدامُ
فصبراً يا بني الأحرارِ صبراً
فإن الظلم ليس له دوام
وأن الحقَّ أبلجُ لا يُضامُ
وقولُ الزُّور آخرُه غرامُ

ثبتنا الله على الإسلام والسنة، وجنَبنا الكفر والبدعة، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا من الراشدين فضلاً منه ونعمة" ا.هـ بتصرف.

وإلى لقاء، والحمد لله رب العالمين

نظرات في حكم طلاق الغضبان

(١)

إعداد د/ محمد عبد العزيز

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وبعد:

فلعل من نافلة القول أن فُرقة الطلاق هي إحدى الفُرَق الهادمة لعقد النكاح، وفُرق النكاح ثلاثة أجناس في الجملة:

الأولى: هي أعظم الفُرق، وهي فُرقة الموت، وفرقة الموت ينتهي النكاح بها، ويقال: انتهى النكاح، ولا يقال: بطل النكاح.

الثانية: فُرقُ الطلاق. الثالثة: فُرَقُ الفسخ.

وقد سبق هذا في مقالات نظرات في أحكام الطلاق، وهي ثمانية مقالات، وسبق فيها بيان حكم مشروعية الطلاق، وأنه آخر العلاج إذا استحالت العشرة الزوجية، وأنه من محاسن الإسلام، فلا نطيل بإعادة القول فيها مرة ثانية، والغرض من هذا المقال: بيان حكم طلاق الغضبان في الشريعة، فهذه المسألة من المسائل التي كثر الخوض فيها بين عموم المتفقهين والمفتين، وكثر التعذر بها من عموم المطلقين الذين يبحثون عن مخرج شرعي يزيلون به أثر ما تلفظوا به من ألفاظ توجب فرقة الطلاق. فلما وجدت هذه اللُّجة محتدمة بين طلاب العلم والمتفقهين سطرت هذا المقال؛ لعله يضيء طريقًا لسالك، أو يعبِّد طريق النظر لمتفقه، أو يفتح بابًا لمتصدر للفتوى.

ومبنى النظر في هذه المسألة على حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طَلاقَ، ولا عَتَاقَ في إغْلاقٍ». رواه أحمد (٢٦٣٦٠)، وأبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، وعند أبي داود لفظه: «في غلاق»، بدلاً من: «في إغْلاقٍ».

فوجب تدقيق النظر في أمرين:

الأول: ثبوت الحديث.

الثاني: تفسير معنى الإغلاق فيه.

وهذا هو موضوع هذا المقال:

أولاً: النظر في ثبوت الحديث:

مدار الحديث عند من خرَّجه من أصحاب الكتب السبعة- أعني: السنة ومسند أحمد- على: محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد الكلاعي عن

محمد بن عبيد بن أبي صالح عن صفية بنت شيبة بن عثمان صاحب الكعبة عن عائشة، رضي الله عنها.

ووقع في مطبوع سنن ابن ماجه: عن عبيد بن أبي صالح، بدلاً من: محمد بن عبيد بن أبي صالح.

وقد نبه على هذا المزي في تحفة الأشراف، قال (١٢/٣٩٦/١٧٨٥٣): «كذا وقع في هذه الرواية».

وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (٩/٣٣٠): «أخرجه ابن ماجه من طريقه فسماه: عبيد بن أبي صالح، وهو وهم».

وأخرج الحديث أيضًا ابن أبي شيبة (١٨٠٣٨)، وأبو يعلى (٤٤٢٧).

وفيه اختلاف أيضًا في سنن ابن أبي شيبة (١٨٠٣٨)، فقد سمى: عبيد بن أبي صالح عبد الله بن أبي صالح.

وهنا اختلاف ثالث فقد أخرجه أبو يعلى الموصلي- طبعة دار القبلة، وطبعة دار الكتب العلمية- (٤٤٢٧)، عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير، عن ابن إسحاق، عن ثور، عن عبيدة بن سفيان.

لكنه وقع في طبعة دار المأمون بتحقيق: حسين سليم أسد (٤٥٧٠)؛ وفيه خطآن:

الأول: ثور بن زيد، بدلاً من: ثور بن يزيد.

الثاني: «محمد بن عبيد بن أبي صالح»، بدلاً من: "عبيدة بن سفيان"، مع أنه نبه أنه في مخطوطي الكتاب: عبيدة بن سفيان.

وفي تهذيب الكمال، قال الحافظ المزي (١٩/٢١٥/٣٧٢٣): «وقال أبو يعلى الموصلي، عن أبي بكر بن أبي شيبة: عبيد بن سفيان، بدل عبيد بن أبي صالح».

فتحصل في طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن نمير، عن محمد بن إسحاق، عن ثور، ثلاثة أوهام في اسم: محمد بن عبيد بن أبي صالح:

الأول: عبد الله بن أبي صالح عند أبي بكر بن أبي شيبة.

الثاني: عبيد بن أبي صالح عند ابن ماجه.

الثالث: عبيدة بن سفيان عند أبي يعلى.

ومحمد بن عبيد بن أبي صالح: ضعيف، وهو علة هذا الحديث.

قال عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الوسطى (٣/٢٠٠): «في إسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح وهو ضعيف». وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٨/١٠): هو ضعيف الحديث.

وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٧/٣٧١/١٠٤٨٩).

- وقد تابع محمد بن إسحاق أبو صفوان عبد الله بن سعيد الأموي، وأسقط من الإسناد: محمد بن عبيد بن أبي صالح.

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٨٠٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد تابع أبو صفوان الأموي محمد بن إسحاق على روايته، عن ثور بن يزيد فأسقط من الإسناد محمد بن عبيد.

وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (٢/٦٦٩): وفيه نعيم بن حماد، وهو: صاحب مناكير.

وقد تابع محمد بن عبيد بن أبي صالح في روايته عن صفية بنت شيبة بن عثمان كل من:

١- زكريا بن إسحاق.
٢- محمد بن عثمان.

أخرجه البيهقي (١٥٠٩٨) قال الحافظ في التمييز عن هذا الطريق (٥/٢٤٤٦): «ورواه البيهقي من طريق ليس هو فيها، لكن لم يذكر عائشة».

وهو وهم: ففيه ذكر عائشة- رضي الله عنها.

وقد ضعف الحديث عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الوسطى، قال (٣/٢٠٠): «في إسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح وهو ضعيف».

الحكم على الحديث

قال ابن بطال في شرح البخاري قال (٦/١٣٦): «وأما الحديث: (لا طلاق في إغلاق) فليس بثابت».

وقال العيني في عمدة القاري (٢٣/١٩٧): «وأما حديث: (لا طلاق في إغلاق) فليس بثابت».

وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (٣٧٧/١): «وهذا يدل على أن الحديث المروي عنها مرفوعًا: (لا طلاق ولا عتاق في إغلاق) إما أنه غير صحيح...».

وقد صحح الحديث الحاكم في المستدرك على شرط مسلم، وحسنه الألباني في الإرواء (٢٠٤٧/١١٣/٧)، وقال في صحيح سنن أبي داود (١٩٠٣/٣٩٦/٦):

«قلت: حديث حسن، وصححه الحاكم، والذهبي، ولفظه عنده وآخرين: "إغلاق"؛ وهو المحفوظ كما قال الخطَّابي».

ثانيا: تفسير معنى الإغلاق في الحديث:

اختلف أهل العلم في تفسير الإغلاق في الحديث على قولين:

الأول: أن الإغلاق: الإكراه.

قال أبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث (١٣٨٣/٤): معنى الإغلاق، الإكراه كأنه يغلق عليه الباب، ويحبس ويضيق عليه حتى يُطلِّق.

وقيل: معناه: لا تغلق التطليقات في دفعة واحدة حتى لا تبقى منها شيء، لكن يُطلِّق طلاق السنة ألا ترى أن الكتب السلطانية في استنطاق جميع الأموال تنطق بإغلاقها.

وتفسير الإغلاق بالإكراه تفسير الجمهور كابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٧٩/٣)، والزمخشري في الفائق (٧٢/٣)، وابن الجوزي في غريب الحديث (١٦١/٢)، والمطرزي في المغرب (ص ٣٤٣)، والزبيدي في تاج العروس (٢٦٢/٢٦)، وغيرهم.

الثاني: أن الإغلاق: الغضب.

قال أبو داود في سننه (٢١٩٣/٥١٦/٣): الإغلاق أظنه في الغضب.

وقد نقل تفسير الإغلاق بالغضب عن أحمد، قال ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد (١٩٥/٥): «يعني: الغضب، هذا نص أحمد حكاه عنه الخلال، وأبو بكر في الشافي، وزاد المسافر، فهذا تفسير أحمد».

قلت- كاتب المقال-: ولا يخفى أن تفسير الإغلاق بالغضب تفسير باللازم، وهو أيضًا تفسير للإغلاق ببعض حالات الغضب، وإلا فأكثر الغضب لا إغلاق فيه.

وقال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٥٦٣/٢): «فإنهم فسروا الإغلاق:

- بالإكراه، قلت: هذا تفسير كثير من الحجازيين.
- ومنهم من فسره بالغضب، وهو تفسير العراقيين.

ونص عليه: أحمد، وأبو عبيد، وأبو داود.

- ومنهم من فسره بجمع الثلاث في كلمة واحدة فإنه مأخوذ من غلق الباب أي أغلق عليه باب الطلاق جملة، وصحح بعضهم هذا التفسير وجعله أولى التفاسير».

كأن ابن القيم نقل تفسير الإغلاق بالغضب عن العراقيين من مطالع الأنوار على صحاح الآثار، فقد قال ابن قرقول (١٥٠/٥): «وقيل: الإغلاق هنا الغضب، وإليه ذهب أهل العراق».

قلت- كاتب المقال-: وفي هذا التفسير نظر فأهل العراق إذا أطلقت أريد بهم أحد أقوال ثلاثة:

الأول: إن أطلق ذلك الحنفية، فإنهم يريدون به أهل المذهب من العراقيين- ورأسهم أبو الحسن الكرخي- في مقابلة أهل بخارى من الحنفية، وليس هذا قول العراقيين من الحنفية.

الثاني: إن أطلق ذلك الشافعية، فإنهم يريدون به أهل المذهب من العراقيين- وأشهرهم أبو حامد الإسفراييني، والقاضي أبو الطيب الطبري، وأبو الحسن الماوردي- في مقابلة أهل المذهب من الخراسانيين أو المراوزة، وليس هذا قول العراقيين من الشافعية.

الثالث: إذا أطلقه أهل المذاهب عند الخلاف المطلق أرادوا به أصحاب الرأي، وهم الحنفية، وليس هذا قول الحنفية كما هو معلوم.

فينظر ماذا أراد ابن القيم من قوله: وهو تفسير العراقيين، فإنه لا ينطبق على قول فريق من هذه الفرق الثلاث.

من فوائد الحديث:

١- إن الطلاق والعتاق له بحسب حكمه نوعان:

الأول: طلاق واقع وهو ما ترتبت عليه آثاره، وهو ما اكتملت أركانه، وتحققت شروطه، وانتفت موانعه.

الثاني: طلاق غير واقع وهو ما لم تكتمل أركانه، أو لم تتحقق شروطه، أو تحقق وجود مانع فيه.

٢- من موانع وقوع الطلاق الصادر من الأهل على المحل الصالح وجود الإغلاق.

٣- من موانع سراية العتق الصادر من الأهل على المحل الصالح وجود الإغلاق.

٤- فسر الجمهور الإغلاق بالإكراه، فرأوا طلاق المكره غير واقع، وهو قول عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وبه قال شريح، وجابر بن زيد، والحسن، وعطاء، وطاووس، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، وأيوب، وابن عون، وهو قول مالك، والأوزاعي، والحسن بن حيى، والشافعي، وأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه، وأبي سليمان وأصحابهم. (ينظر: معالم السنن، للخطابي (٣/٢٤٢)، والاستذكار، لابن عبد البر (٦/٢٠٢)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/٢٥٠).

وذهب النخعي، وسعيد بن المسيب، والزهري، وأبو قلابة، وشريح، وأصحاب الرأي، إلى أن طلاق المكره جائز، وقال إبراهيم النخعي: لو وضع السيف على مفرقه ثم طلق لأجزت طلاقه.

وقد روي عن الشعبي إن أكرهه اللصوص لم يجز طلاقه وان أكرهه السلطان جاز. (ينظر: الاستذكار، لابن عبد البر (٦/٢٠٢)، وعمدة القاري، للعيني (٢٠/٢٥٠).

٥- فسر أصحاب الرأي الإغلاق في الحديث بالجنون؛ لأن المكره غير مغلق عليه، وانما المعني فيه: المجنون؛ لأنه مغلق عليه في التصرف من سائر الوجوه.

وهو مأخوذ من: أغلق عليه بابه، ومنع من التصرف من سائر الوجوه، وهذا هو صفة المجنون. (التجريد، للقدوري(١٠/٤٩٢٥)، وشرح مختصر الطحاوي، للجصاص (٥/٨).

٦- حمل بعض أهل العلم النفي في الحديث على معنى النهي، فيكون المعنى: لا تطلق المرأة ولا تعتق العبد حال الغلاق أو الإغلاق على اختلافهم في تفسيره.

قال القدوري في التجريد، للقدوري (١٠/٤٩٢٥): «(لا طلاق ولا عتاق في غلاق): أي: لا يطلق الرجل المحب للمرأة ولا يعتق المولى المحب؛ لأن نفسه تتبعها ولا يقدر عليها، وهذا معنى قوله: «لا تدري لعلَّ اللَّه يُحدثُ بعد ذلك أمرا» (الطلاق: ١).

فإن صح اللفظ الآخر وهو لا طلاق في إغلاق فهو من هذا أيضًا؛ لأنه يريد أن غيره أدخله في هذا، فتقول: أغلقه غيره إغلاقا فهو مغلق، والعرب تجعل العاشق مرة فاعلًا ومرة مفعولًا.» (وينظر: شرح مختصر الطحاوي، للجصاص (٥/٨).

وقيل في معناه: «لا تغلق التطليقات في دفعة واحدة حتى لا تبقى منها شيء، لكن يطلق طلاق السنة، ألا ترى أن الكتب السلطانية في استنطاق جميع الأموال تنطق بإغلاقها». (الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي (٤/١٣٨٣).

٧- من أهل العلم من فسر الإغلاق بالغضب فجعل الغضب مانعًا من إيقاع الطلاق، وقد روي ذلك عن مسروق، والشعبى، وجماعة أن الغضبان لا يلزمه يمين ولا طلاق ولا عتق. (ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/١٣٧).

٨- استدل بعض أهل العلم بالحديث على أن الغضب إن وصل بصاحبه إلى حد الإغلاق فيزيل العقل بالكلية فلا يدري ما يقول أنه لا يقع من صاحبه طلاق. (زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/١٩٥، ١٩٦)، وإغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (ص ٣٨، ٣٩).

٩- استدل بعض أهل العلم بالحديث على أن الغضب إن وصل بصاحبه إلى حد يحول بينه وبين نيته وقصده بحيث يندم على ما فرط منه، وان لم يزل العقل بالكلية أنه لا يقع، واليه يميل ابن القيم، واختاره ابن عابدين. (ينظر: زاد المعاد (٥/١٩٥)، وأعلام الوقعين (٤/٤٠)، وإغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (من ص٢٨ إلى آخر الرسالة)، ورد المحتار على الدر المختار (٣/٢٤٤).

هذا ما يسره الله في هذا المقال، فإن يكن صوبًا فالحمد لله، وان تكن الأخرى فأستغفر الله، والى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

صلاة الاستسقاء

الحلقة الأولى

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبدأ في هذا اللقاء الحديث عن آداب وأحكام صلاة الاستسقاء، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: معنى الاستسقاء:

الاستسقاء في اللغة: هو طلبُ الشخص سقيَ الماء لنفسه أو طلبُه لغيره، وهو استفعال من طلب السقيا: أي إنزال الغيث على البلاد والعباد، يقال: استسقى، وسقى الله عباده الغيث، وأسقاهم، والاسم: السُّقيا بالضم، واستسقيت فلانًا: إذا طلبت منه أن يسقيك" (انظر لسان العرب لابن منظور ١٤/٣٩٣).

وشرعًا: طلب السقي من الله تعالى بمطر عند حاجة العباد إليه على صفة مخصوصة، وقد ورد ذكر الاستسقاء في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: «وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ» (سورة البقرة: ٦٠).

ثانيًا: سبب الاستسقاء:

سبب الاستسقاء: القحط وانحباس المطر وشحّ المياه، والشعور بالحاجة لسقي الزرع وشرب الحيوان.

ومن أسباب القحط وحبس المطر: معصية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم: فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشرَ المهاجرين! خمسٌ خصال إذا ابتُليتم بهنّ، وأعوذ بالله أنْ تُدركوهُنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها؛ إلا فشا فيهمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكنْ مضتْ في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصُوا المكيال والميزانَ إلا أخذوا بالسِّنينَ وشدَّة المؤنَة وجور السُّلطان، ولم يمنعُوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطرَ من السَّماء، ولولا البهائمُ لم يُمطرُوا، ولا نقضُوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إلا سلَّط عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذُوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله، ويتخيَّروا فيما أنزلَ الله؛ إلا جعل الله بأسَهم بينَهُمْ". (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

وهذا الحديث فيه: أن نقص المكيال والميزان سببٌ للجدب وشدة المؤونة وجور السلاطين، وفيه أن منع الزكاة من الأسباب الموجبة لمنع نزول المطر من السماء، وأن نزول الغيث مع وجود المعاصي إنما هو رحمة من الله تعالى للبهائم. (انظر:

نيل الأوطار للشوكاني ٣٥/٧ بتصرف).

ويحدث الجفاف عادةً ابتلاءً من الله تعالى؛ بسبب غفلة الناس عن ربهم، وتفشي المعاصي بينهم، فنزول الماء رحمة، وانحباسه كثيرًا عذاب يعذب الله به عبادًا خرجوا عن طاعته، أو عصوا ولم يتقوا الله سبحانه. فيحتاج الأمر للتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله. قال تعالى: «وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا» (سورة الجن: ١٦). وقد بيّن الله -عز وجل- أن الابتعاد عن المعاصي والقيام بالواجبات من أعظم أسباب إنزال البركات، فقال عز وجل: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ» (سورة الأعراف: ٩٦).

ثالثا: حكم الاستسقاء:

الاستسقاء سُنّة مؤكدة إذا أجدبت الأرض وقحط المطر. قال الإمام ابن عبد البر -رحمه الله-: "وأجمع العلماء على أن الخروج إلى الاستسقاء، والبروز، والاجتماع خارج المصر بالدعاء، والضراعة إلى الله -تبارك اسمه- في نزول الغيث عند احتباس ماء السماء وتمادي القحط: سُنّة مسنونة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك". (التمهيد ٣٥/٧).

واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء؛ فقال أبو حنيفة: ليس في الاستسقاء صلاة، ولكن يخرج الإمام ويدعو، وروي عن طائفة من التابعين مثل ذلك، وحجتهم حديث مالك، وقال مالك والشافعي وأبو يوسف ومحمد وسائر فقهاء الأمصار: صلاة الاستسقاء سُنّة.(انظر: التمهيد لابن عبد البر٣٥/٧).

قال أبو حنيفة: "ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة في جماعة؛ فإن صلى الناس وحدانا جاز، وإنما الاستسقاء الدعاء والاستغفار؛ لقوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» الآية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ولم تُرو عنه الصلاة" (انظر: العناية شرح الهداية للبابرتي ٩١/٢).

ورد على ذلك الحافظ الزيلعي من أئمة الحنفية فقال: "أما استسقاؤه عليه السلام، فصحيحٌ ثابت، وأما إنه لم يرو عنه الصلاة، فهذا غير صحيح، بل صح أنه صلى فيه، كما سيأتي، وليس في الحديث أنه استسقى، ولم يُصل، بل غاية ما يوجد ذكر الاستسقاء، دون ذكر الصلاة، ولا يلزم من عدم ذكر الشيء عدم وقوعه". (نصب الراية:٢٣٨/٢).

وقال جمهور الفقهاء منهم الصاحبان: صلاة الاستسقاء سُنّة مؤكدة حضراً وسفراً، عند الحاجة، ثابتة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه، رضي الله عنهم. وكررت الصلاة في أيام لا يوم إن تأخر السقي بأن لم يحصل أو حصل دون ما فيه الكفاية؛ حتى يسقيهم الله تعالى، فإن الله يحب الملحين في الدعاء. (انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥٣٨/١، تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي ٧٠/٤، المغني لابن قدامة٢٨٣/٢، كشاف القناع للبهوتي ٩٥/٣).

والأصل في مشروعيتها أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد صلاها، وصلاها معه صحابته -رضوان الله عليهم-؛ فعن عبد الله بن زيد -رضي الله عنه- «أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى المصلى، فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه، وصلى ركعتين» (رواه البخاري ومسلم).

رابعًا: صُور الاستسقاء:

وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه الماتع "زاد المعاد في هدي خير العباد" فصلاً في هديه صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء، وأنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه استسقى على وجوه نذكرها مع تصرُّف في العرض:

أحدها: يوم الجمعة على المنبر في أثناء خطبته وقال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا"؛ لحديث أنس رضي الله عنه أنّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجِدَ يَومَ جُمُعَةٍ، مِن بَابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَائِمًا، ثُمَّ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِثْنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، قالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ ما نَرَى في السَّمَاءِ مِن سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَما بيْنَنَا وبيْنَ سَلْعٍ مِن بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قالَ: فَطَلَعَتْ مِن وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ،

ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم حولنا ولا علينا، اللهم على الآكام، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر فانقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية للبخاري: "اللهم اسقنا اللهم اسقنا".

الوجه الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم وعد الناس يومًا يخرجون فيه إلى المصلى، فخرج لما طلعت الشمس متواضعًا متبذلا متخشعًا مترسلاً متضرعًا فلمّا وافى المصلى صعد المنبر -إن صح وإلا ففي القلب منه شيء-: فحمد الله وأثنى عليه، وكبّره، ودعا؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " شكا الناس إلى رسول الله قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، فخرج رسول الله حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر فكبّر وحمد الله عز وجل، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله، يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين. ثم رفع يديه، فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب -أو حول- رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله عز وجل سحابة، فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلمّا رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله" (رواه أبو داود وحسنه الألباني).

الوجه الثالث: أنه صلى الله عليه وسلم استسقى على منبر المدينة استسقاءً مجردًا في غير يوم جمعة ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الاستسقاء صلاة؛ فعن ابن عباس قال: " جاء أعرابيٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع، ولا يخطر لهم فحل. فصعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، فحمد الله، ثم قال: اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا ريعًا طبقا غدقا عاجلا غير رائث. ثم نزل، فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا: قد أحيينا" (رواه ابن ماجه وضعفه الألباني).

الوجه الرابع: أنه استسقى وهو جالس في المسجد، فرفع يديه ودعا الله عز وجل، عن شرحبيل بن السمط أنه قال لكعب يا كعب بن مرة حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر: قال جاء رجل إلى النبيّ فقال: يا رسول الله استسق الله: فرفع رسول الله يديه فقال: اللهمّ اسقنا غيثًا مريئًا مريعًا طبقًا عاجلا غير رائث نافعًا غير ضار، قال: فما جمعوا حتى أجيبوا. قال: فأتوه فشكوا إليه المطر، فقالوا: يا رسول الله تهدمت البيوت؛ فقال: اللهمّ حوالينا ولا علينا، قال: فجعل السحاب ينقطع يمينًا وشمالا" (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

الوجه الخامس: أنه استسقى عند أحجار الزيت قريبًا من الزوراء، وهي خارج باب المسجد الذي يدعى اليوم باب السلام، نحو قذفة حجر، ينعطف عن يمين الخارج من المسجد. فعن عمير مولى بني آبي اللحم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي عند أحجار الزيت قريبًا من الزوراء قائمًا يدعو يستسقي رافعًا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه. (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

الوجه السادس: أنه صلى الله عليه وسلم استسقى في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء، فأصاب المسلمين العطش، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعض المنافقين: لو كان نبيًا لاستسقى لقومه، كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "أوقد قالوها؟ عسى ربكم أن يسقيكم، ثم بسط يديه، ودعا، فما ردّ يديه من دعائه، حتى أظلهم السحاب، وأمطروا، فأفعم السيل الوادي، فشرب الناس، فارتووا".

والحمد لله رب العالمين.

مقالات في معاني القراءات

الحلقة السادسة

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فما يزال الحديث متصلاً عن بعض معاني القراءات الواردة في سور الجزء السادس والعشرين من كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الجزء السادس والعشرين

من سورة الأحقاف

قوله تعالى: (وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ) (الأحقاف:١٢).

القراءات: (لينذر) قرأ بتاء الخطاب نافع وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب والبزي، والباقون بياء الغيبة.

المعنى: على قراءة (لتنذر): الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام، لأنه هو النذير لأمته، كما قال تعالى: (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا) (البقرة:١١٩)، وقراءة (لينذر) إخبار عن القرآن لأنه نذير، كما قال تعالى: (كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا) (فصلت:٣-٤). أو المعنى لينذر به محمد صلى الله عليه وسلم فتتحد في المعنى مع القراءة الأولى (الكشف لمكي ابن أبي طالب ٢/ ٣٢٣).

ومن سورة محمد

(عليه الصلاة والسلام)

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ) (محمد:٤).

القراءات: قرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب (والذين قُتلوا) وقرأ الباقون (والذين قاتلوا).

المعنى: أن من قُتل في سبيل الله فلن يضيع عمله بل صلح حاله بالنعيم المقيم، وكذلك من قاتل الكفار وجاهدهم وإن لم يُقتل سيهديهم طريق الخير في الدنيا ويحسن حالهم بالطاعة فيها، ويدخلهم الجنة في الآخرة مكرمين، فقراءة: (قاتلوا) أعم، وقد يقال: إن من قُتل في سبيل الله فقد حصل منه القتال قبل أن يموت، فضمن الله ثواب كل من جاهد في سبيله قُتل أو رجع سالمًا (معانى القراءات للأزهري ٤٧٤، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/ ١٩٠، لطائف الإشارات ٨/١٤٦).

قوله تعالى: (فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ) (محمد:١٥).

القراءات: (آسن) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة (أَسِن)، وغيره بمدها.

المعنى: (أَسِن) على وزن (فعِل) كحَذِر للحال، ومعناه غير متغير في حال جريه، و(آسِن) على وزن (فاعل) لما يُستقبل فلا يتغير على طول المكث (الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٨/٢).

قوله تعالى: (فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ) (محمد:٢٢).

القراءات: (عسيتم) قرأ نافع بكسر السين وغيره بفتحها وهما لغتان.

(توليتم) قرأ رويس بضم التاء والواو وكسر اللام، وغيره بفتح التاء والواو واللام، ومعنى

(تولَيْتم) من الإعراض، أي: أعرضتم عن الإسلام أو الكتاب أو الجهاد، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن؟ أو المعنى من الولاية، أي: توليتم أمور الناس وحكمتم فيهم، أو تولاكم الناس ووكلكم الله إليهم ويشهد لهذا المعنى قراءة رويس (تُوُلّيتم).

(وتقطعوا): قرأ يعقوب بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة (وتَقْطَعُوا) من القطع، كقوله تعالى (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) (الرعد:٢٥)، وقرأ غيره بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة (وتُقَطِّعُوا) من التقطيع على التكثير (تفسير القرطبي- سورة محمد: ٢٢، والبحر المحيط لأبي حيان ١١٥/٨).

قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) (محمد:٢٥).

القراءات: (وأملى) قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء، وقرأ يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء، والباقون بفتح الهمزة واللام وألف بعدها.

المعنى: على قراءة الجمهور (وأملى لهم) أسند الفعل للشيطان أي غرهم وخدعهم وزين لهم ردتهم، ومناهم طول البقاء في الدنيا، ويجوز أن يكون الإملاء مسندًا إلى الله عز وجل، ويؤيد ذلك قراءة أبي عمرو (وأُملِيَ) جعله فعلاً ماضيًا لما لم يسمَّ فاعله، والفاعل في المعنى هو الله جل ذكره كما قال: (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) (الأعراف ١٨٣)، وقال: (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران: ١٧٨)، وإملاء الله لهم: أنه أخر في أعمارهم حتى اكتسبوا السيئات ولم يعاجلهم بالعقوبة ابتداء، وقراءة يعقوب (وأُملي لهم) تحتمل أن يكون مضارعًا أسند إلى ضمير المتكلم أي: وأملي أنا لهم، ويجوز أن يكون ماضيًا كقراءة أبي عمرو سكنت ياؤه تخفيفًا (معاني القراءات للأزهري ٤٧٥، لطائف الإشارات ٨/ ١٥١).

ومن سورة الفتح

قوله تعالى: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) (الفتح:٦).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بفتحها.

المعنى: (السُّوء) يراد به الهزيمة والشر والبلاء كقوله (وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) (النحل:٢٧) يعنى العذاب: و(السَّوء): الرداءة والفساد وهو ظنهم الباطل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه لا يرجعون ولذا قال بعدها (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) (الفتح:١٢)، وقيل هما لغتان (الكشف ٨٤/٢، حجة لابن زنجلة ٣٥٠).

فائدة: قوله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ) (الفتح:١٠) قرأ حفص بضم هاء الضمير وصلاً مع تفخيم لام اسم الجلالة، أتى به على الأصل بصلة الهاء بواو ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها فبقيت الضمة، وقرأ الباقون بكسر الهاء لمجاورة الياء مع ترقيق لام اسم الجلالة، وهذا مثل موضع الكهف (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ) (الكهف:٦٣) (الكشف ٣٨٠/٢، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٢١٥).

قوله تعالى: (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) (الفتح:١١).

القراءات: (ضَرًّا) قرأها حمزة والكسائي وخلف بضم الضاد، والباقون بفتحها.

المعنى: الضَر ضد النفع، وهو الوارد في التنزيل مثل (مَا لا يَمْلكُ لكُمْ ضَرًا وَلا نفْعًا) (المائدة ٧٦)، (وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) (الفرقان:٣)، والضُر: هو السقم والبؤس والبلاء وسوء الحال، كما ورد في التنزيل (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) (الأنبياء:٨٣)، (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) (الزمر:٣٨)، وقيل: هما لغتان (حُجة القراءات لابن زنجلة ص:٣٥١ ومعانى القراءات للأزهري ص ٤٧٨).

قوله تعالى: (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (الفتح:٢٥).

القراءات: قرأ ابو عمرو بالياء والمراد بهم الكافرون لتقدم ذكرهم وصدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وقرأ الباقون بتاء الخطاب، والخطاب للمؤمنين: لأنه خاطبهم بقوله (صدُّوكُمْ) و(أظْفَرَكُمْ)، ويجوز أن يكون الخطاب للجميع من المؤمنين والكفار. (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٠٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فضل السَّبَّاقين للخيرات

إعداد **الشيخ د: فيصل بن جميل غزاوي**
خطيب المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعدُ: فيأيها المسلمون: إن من فضل الله على عباده، أنْ جعَل منهم سبَّاقِينَ في فعل الخيرات، مقدَّمِينَ في إحراز شرف السَّبق في القربات، أوائل في المحاسن والفضائل، وهم للناس قدواتٌ، يصدُق عليهم قولُ ربِّ البريَّات: (وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ) (الأَنْبِيَاءِ: ٧٣)، فكانوا هداةً مهديين، ومن عباد الله المخلَصينَ، نالوا -بسَبْقِهم- الرتبةَ العليةَ، والمكانة السَّنيَّة، وهذا من أكبر نِعَم الله على عبده: أن يكون إمامًا يهتدي به المهتدون، ويأتمُّ به المتقون، ويسلك طريقَه السائرون، فمنهم مَنْ أشاد الله بسبقه، إذ قال جل في علاه: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (التَّوْبَةِ: ١٠٠)، فهؤلاء العظماء كانوا -بأوَّلِيَّتِهم- مشاعلَ هدًى لغيرهم، وقدواتِ خيرٍ لمن بعدهم.

عباد الله: ومما اعتنى به الصحابة الكرام ذكر أول من أسلم منهم، في روايات وردت عنهم، قال ابن كثير -رحمه الله-: "والصحيح أن عليًا أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار"، وقال ابن حجر -رحمه الله-: "ومما اختصت به -يعني خديجة -رضي الله عنها- سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنّت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن؛ لما ثبت "أنه من سنّ سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيء"، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله -عز وجل-.

فانظروا -رحمكم الله- لهذا الفضل الذي أحرزه هؤلاء السابقون: بأن كانوا أول من أسلم وجهه لله، واتبع دين الحق من هذه الأمة، فنالوا شرف السبق، وكانوا قدوة لغيرهم: بأن تتابع الناس بعدهم يلتحقون بركب المؤمنين الناجين، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد"(رواه ابن ماجه).

عباد الله: وممن يُذكر في الأوائل ويُشاد بسبقه في الفضائل: خليل الله إبراهيم -عليه السلام-، فقد أخرج ابن عساكر، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كان أول من ضيّف الضيف إبراهيم"، وقد أثنى الله -تعالى- عليه في كتابه العزيز، في إكرام ضيفه من الملائكة الكرام، فقال عز من قائل: (هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ) (الذاريات: ٢٤)، إلى قوله -تعالى-: (فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) (الذاريات: ٢٦-٢٧)، وهذا العمل الجليل منقبة عظيمة له: إذ كان أول من بدأ هذه الخصلة الحميدة من خصال الخير، وتتابع الناس بعده يُضيفون الأضياف، ويُكرمون النزيل، حتى جاء الإسلام فرفع شأن هذا الأدب العظيم، وجعله شعبة من شعب الإيمان؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(متفق عليه)، و(في الصحيحين) عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "اختتن إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم"، وقد أجمع العلماء على أن إبراهيم -عليه السلام- أول من اختتن، ثم تتابع الأنبياء على ملة إبراهيم -عليه السلام-، ومنها فعل هذه الفطرة الإسلامية: بأن استمر الختان بعده في الرسل -عليهم السلام- وأتباعهم.

إخوة الإسلام: ومن أمثلة الأولية في الخير ما جاء في الصحيحين أن عمر -رضي الله عنه- لما استأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- في أرض بخيبر أصابها، قال له -صلى الله عليه وسلم-: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها"، قال ابن عمر -رضي الله عنهما- فيما أخرجه أحمد وغيره: "أول صدقة -أي موقوفة- كانت في الإسلام صدقة عمر"، وهذا الحديث الوارد في قصة عمر أصل في مشروعية الوقف، ثم توالت أوقاف الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، فمن بعدهم يبتغون مرضاة الله، والتقرب إليه.

ومن أمثلة ذلك كذلك ما (أخرجه مسلم) في قصة إسلام أبي ذر الغفاري، إذ قال رضي الله عنه: "كنت أول من حيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتحية الإسلام، فقال: وعليك ورحمة الله"، فحظي هذا الصحابي الكريم بهذا الفضل: أن كان أول من ألقى التحية على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي تحية الإسلام، تحية أهل الجنة، التي ينبغي أن نحرص على إفشائها، ولا نستبدل بها تحية أخرى، ولا نكتفي بغيرها عنها، فهي التحية الأولى، وأشرف التحيات وأكرمها، فلما قال عمير بن وهب -رضي الله عنه- في حواره مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يدخل في الإسلام، وهي تحية أهل الجاهلية قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قد أكرمنا الله -عز وجل- عن تحيتك، وجعل تحيتنا السلام، وهي تحية أهل الجنة، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قد بدلنا الله خيرًا منها"(رواه الطبراني).

معاشر المسلمين: ومن الأوائل بلال بن رباح -رضي الله عنه- في أذانه، فعن القاسم بن عبد الرحمن -رحمه الله- أنه قال: "أول من أذن بلال"، فأكرم بهذا العمل الجليل، الذي هو شعار من شعائر أهل الإسلام، ومن أفضل القربات، وهو الدعوة إلى الله -عز وجل-، دعوة إلى أداء الصلاة، عمود الإسلام.

ومما يُذكر في الأولية حرص عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- على جمع السنة؛ بأن كتب بذلك إلى أبي بكر بن حزم وأمر ابن شهاب الزهري بذلك أيضا، قال ابن حجر -رحمه الله-: "أول من دوّن الحديث ابن شهاب الزهري، على رأس المئة، بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير،

فلله الحمد..". فانظروا -رحمكم الله- كيف تتابع التدوين والتصنيف في السُّنة النبوية بعد ذلك، ومما يجدر ذكره هنا أن أول من صنف في الحديث الصحيح المجرّد الإمام البخاري -رحمه الله-، ثم تبعه في هذا من تبعه.

ومن شواهد السبق في عمل الخير: ما جاء في قصة القوم الذين قدموا من مُضر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما رأى ما بهم من الفاقة تمعّر وجهه، فخطب في الصحابة وحثهم على الصدقة، فجاء رجل من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى اجتمع كومان من طعام وثياب، فتهلل وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "من سنّ في الإسلام سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنّ في الإسلام سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ" (رواه مسلم)، وفي الحديث حثّ على البداءة بالخير؛ ليستن به، وتحذير من البداءة بالشر؛ خوف أن يستن به.

عباد الله، وكما أن هناك أوائل في الخير، وأئمة في الهدى، فهناك أيضا من هم على الضد من ذلك؛ إذ بلغوا شأوًا بعيدًا في الضلالة، ومبلغًا عظيمًا في الشر والغواية، وُصفوا بقبائح الأفعال والأحوال، وسلكوا طريق أهل الأهواء والأغمار، وكانوا في مقدمة ركب الغافلين الأشرار، بل وقدوة لأهل الفسق والزيغ والصغار، ويصدق عليهم قول العليّ القهار: (وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ) (القصص: ٤١)، فهم ضالون مضلون، ومن أمثلة ذلك -عباد الله- ما جاء في (الصحيح) عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "رأيت عمرو بن عامر بن لحيّ الخزاعيّ يجرّ قُصْبه في النار، وكان أوّل من سيّب السوائب"، فهو أول من غيّر دين إبراهيم -عليه السلام- ودعا إلى الشرك وعبادة الأصنام، فكان جزاؤه أن يجر أمعاءه في النار؛ عقوبة له، وزجرًا لكل من يعمل بعمله، ومن ذلك أيضا ما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سنّ القتل"، هذا جزاؤه؛ لأنه أول من سن القتل، فكل من قتل بعده نفسًا بغير حق ناله نصيبٌ من الإثم.

ومما ذكر العلماء في مسائل الاعتقاد أن أول من قال بالقدر معبدُ الجهني؛ أي: هو أول من قال بنفي القدر، وادّعى أن الله -عز وجل- لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فكذب على الله وضل وافترى، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

أمة الإسلام: كم في الماضين من سلفنا الصالح، من الأوائل الأمجاد، الذين ضربوا أروع الأمثلة في التنافس على الخير، وكان لهم شرف السبق، وفضل الصدارة في العلم والعمل؛ فما أحوج الأمة اليوم إلى سابقين مُبادرين في وجوه الخيرات، مُبدعين متقنين مستفيدين من وسائل العصر وامكاناته، يُعرفون بأوليتهم وسابقتهم في الجد والمثابرة والاجتهاد، مستندين في ذلك كله إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، وما أجدر أن يكون في الناس أوائل يسنّون للناس سُنّة حسنة فيتأسى بهم غيرهم فتسمو نفوسهم وترتقي هممهم، وما أجدر أن يكون فيهم أوائل في الرسوخ في العلم، لهم فيه نبوغ وإتقان، وفهمٌ وإحسان، وحرصٌ على تبليغه ونشره بين الأنام، ويكون فيهم أوائل في طلب معالي الأمور وأشرافها، ويكون فيهم أوائل في الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، والآداب الفاضلة، ومحاسن الأعمال، ويكون فيهم أوائل في الإصلاح بين الناس، ودعوتهم إلى المحبة والألفة واجتماع الكلمة، ويكون فيهم أوائل في الدعوة إلى الخير، وصنائع المعروف، وقضاء حوائج الناس، وتفريج كُرباتهم، ويكون فيهم أوائل في الكرم والبذل، والجود والإنفاق، والعطاء والسخاء، ويكون فيهم أوائل في استثمار سبل الدعوة، ونشر الدين الحنيف، ومحاسن الإسلام في العالمين، ويكون فيهم أوائل في توجيه وتربية النشء، وشغلهم بالنافع المفيد، وما أحوج الأمة كذلك إلى سابقات صالحات قانتات في الاعتزاز بالدين والمحافظة على أوامر ربّ العالمين.

إننا -عباد الله- بحاجة ماسة إلى أن نحذو حذو كل صاحب قدوة في مجاله، من أهل السبق والفضل والأولية، فنسلك سبيل العلماء الربانيين في علمهم، والطائعين العابدين في إخباتهم لربهم، والتائبين المنيبين في توبتهم، والذاكرين الله كثيرًا في ذكرهم، والصابرين في صبرهم، والشاكرين في شكرهم، والصادقين في صدقهم، والثابتين على دينهم ومبادئهم في ثباتهم، والجادّين والمتقنين أعمالهم، والمحافظين على أوقاتهم في جدهم واجتهادهم، والبارّين آباءهم في برّهم، والواصلين رحمهم في وصلهم، وهكذا في كل مجال من مجالات اتباع سبيل المؤمنين.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٣٩٣٦٥١٧ - ٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.mgtawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني